شهر رجب الأصب

شهر شعبان المعظم

شهر رمضان المبارك

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الفكر والإبداع

الصدى

مجلة فصلية ثقافية تعنى بدراسة أحداث السنة الهجرية

Al-Sada

Cultural Quavterly Journal For Hegira Events

Issued by the al _abbas holey shrine Department of Intellectual and
Cultural Affairs Division of thought and creativity

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

صدق الله العلي العظيم

الصدى والصديات ... خير خلف لخير سلف

من حياضِ صاحبِ الجودِ والكرامات المولى أبي الفضل العباس (سلام الله عليه) يسرنا أن نضع بين يدي قرّائنا الأعزّاء العدد الأوّل من المجلة الفصلية التّخصّصية التي تعنى بدراسة أحداث السنة الهجرية من مناسبات وأحداث، وكذلك تتناول السيرة العطرة للنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطيبين الطاهرين(صلوات الله عليهم) .

حمل هذا الإصدار اسم (**الصدى**) ليكون نتاج عشر سنوات من الإبداع والتّألّق في الطرح والمضمون الذي كانت عليه الإصدارات الخاصة (صدى عاشوراء/ صدى الأربعين/ صدى الرسالة/ صدى الزهراء/ صدى أم البنين/ صدى المرتضى/ صدى الحوراء/ صدى شعبان/ صدى الحجة/ صدى الانتفاضة/ صدى المجتبى/ صدى البقيع)، فجاءت مجلة الصدى مرتكزةً على أساس رصين واسم لامع، فكانت فصلية تخصّصيّة وهي أول الغيث إن شاء الله -تعالى- ... تبدأ ببركة الصلاة على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

رضوان السلامي

الإشـــــــراف الـــعـــام
السـيـد لـيـث الـمـوسـوي

السلامة الفكرية
السيد عقيل عبدالحسين الياسري

رئيس التّحرير
رضوان عبدالهادي عبد الخضر

مدير التّحرير
حيدر فائق الهنداوي

هيأة التّحرير
صباح نعيم الصافي
ياسين خضير عبيس
حسين فاضل الحلو
محمد يوسف محمد صالح
سيف هاني اسماعيل

المراجعة اللغوية
محمد رضا الأسدي

المشاركون
الشيخ عبدالله اليوسف
الشيخ عقيل البصري
الشيخ أحمد الكربلائي

التصميم و الإخراج الفنّي
حسين عقيل | ميثم القرعاوي | حسين شمران

التنفيذ الطباعي

.. للاشتراك

تستقبل مجلة الصدى المشاركات (البحوث و المقالات) باللغة العربية، ووفق المحاور التي تغطي أحداث السنة الهجرية وتتناول السيرة العطرة للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وأهل بيته(عليهم السلام).

ترسل المشاركات على العنوان الاتي:
العراق / كربلاء المقدسة / مجمع الكفيل الثقافي / شارع الإسكان / خلف متنزه الحسين _عليه السلام_ الكبير

التواصل مع المجلة :
sadayat14@gmail.com
info@alkfeel.net

في البدء

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على الهادي البشير، والسّراج المنير، محمّد وآله الطَّيبين الطَّاهرين.

أمّا بعد، فقد اختار الله -تعالى- بعض أشهر السّنة على بعض، وفضّلها على سائر الشّهور بفضائل عديدة، يعود نفعها أوّلاً وآخراً إلى الإنسان نفسه، وقد دُعي إلى الاستفادة منها، وإلّا فإنَّ الله -عزوجل- هو الغني المطلق.

كما قال -تعالى-: **(وَرَبّكَ الْغَنِيّ ذُو الرّحْمَةِ)** سورة الأنعام: ١٣٣..

وقال -عزوجل-: **(يا أَيّهَا النّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَآءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيّ الحَمِيدُ)** سورة فاطر: ١٥.

فمن خيرة أشهر السَّنة كما في الآيات، والرّوايات هي (رجب وشعبان ورمضان) التي اختصّت بالبركات، وحبيت بالفضائل، والمناقب المباركة، بحيث لا تضاهيها في الفضل بقيّة الأشهر.

وفي هذه الأشهر المباركة هناك العديد من الأعمال، والأدعية المأثورة مضافاً إلى المناسبات المباركة التي دعانا الرَّسول الأعظم محمد-صلى الله عليه وآله- وأهل البيت -عليهم السلام- إلى تعظيمها، والاستفادة منها بالشكل المطلوب؛ ليعود نفعها على البشرية جمعاء.

إنّ هذه الأشهر الثَّلاثة مليئة بالبركات والفضائل ولكن تحتاج إلى قلوب واعية، وهمم عالية؛ لكي تستفيد منها على الوجه الصَّحيح، وتوصل أهلها إلى طريق السَّعادة الذي خطّه لنا القرآن الحكيم، وبيّنه الرَّسول الكريم -صلى الله عليه وآله- وأهل البيت -عليهم السلام-.

إنَّ شهر رجب وكذلك من بعده شهر شعبان وشهرر رمضان، هي خير مدرسة للإنسان كي يهذّب فيها روحه، ويزكّي نفسه الأمّارة بالسّوء، وذلك عبر الاتصال بالله -تعالى- والتقرّب إليه أكثر من سائر شهور السَّنة.

ويستحب للإنسان أن يدعو في أوَّل رجب بأن يبارك الله له ذلك، وكذلك شهر شعبان، وأن يبلغه شهر رمضان.

فعن النبي -صلى الله عليه وآله- أنَّه كان إذا رأى هلال رجب قال: «**اللهم بارك لنا في رجب وشعبان، وبلغنا شهر رمضان**» إقبال الأعمال: ٦٢٨.

وحيث إنّ هذه الشّهور الثَّلاثة مليئة بالعبادات، والأدعية المأثورة، والبرامج الرّوحيّة العظيمة الثّواب، فيسهل على الإنسان فيها كي يبني نفسه ويربّي ذاته كما يريد الله -عزّوجلّ-.

وفي واقع الأمر إنّ أعمال هذه الشّهور الثَّلاثة تُساهم بقوّة في بناء الذَّات، وتربية النّفس وترويضها على طاعة الله وعبادته، ولذا فمن الضّروري على المسلمين أن يهتّموا بمثل هذه الأعمال، ويواظبوا عليها ويحرصوا على أدائها، حتّى يوفّقوا لبناء أنفسهم، وصياغتها صياغة إسلامية كما أراد الله -تعالى

المحتوى

شهر رجب

شهور الرَّحمة وأقسام الناس ٨
من معالم حكومة الإمام علي –عليه السلام– ١٤
المرأة تصنع الانتصارات في كربلاء ٢٢
الجوادان–عليهما السلام– منارتا العلم والمعرفة ٢٦

شهر شعبان

خازن الكتاب المسطور ٣٤
الإمام زين العابدين –عليه السلام– بين البعد الاجتماعي والنّهج العبادي ٤٠
العباس –عليه السلام– المجاهد الشَّهيد ٥٠
علي الأكبر شخصية فذة وحياة مفعمة بالعظمة ٥٨
كيف نتعامل مع الفتن ٦٢
التمسّك بالمرجعية في زمن الغيبة الكبرى ٦٨
من فوائد وجود الإمام –عليه السلام– ٧٦
نفحات من الذَّاكرة ٨٦

شهر رمضان

الصوم مدرسة التّقوى ١٠٠
دروس من حياة الإمام الحسن المجتبى –عليه السلام– ١٠٦
ليلة القدر الليلة المباركة ١١٤
العيد والجوائز الإلهية ١١٨
آية من سورة الجود ١٢٦

قال الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله:

(ألا فمن صام من رجب يوماً إيماناً واحتساباً، استوجب رضوان الله الأكبر)

ثواب الأعمال: ص٥٤.

شهر رجب

شهور الرَّحمة وأقسام الناس

من معالم حكومة الإمام علي –عليه السلام–

المرأة تصنع الانتصارات في كربلاء

الجوادان–عليهما السلام– منارة العلم والمعرفة

شهور الرحمة وأقسام الناس

السيد عصام الموسوي

إنّ النَّاس في الحياة الدّنيا على ثلاثة أقسام:

١: أسير الشَّهوات المادّية

قسم من النَّاس منشغل بحواسّه المادّيّة، وشهواته الجسدية فقط، فهو يريد أن يأكل الطيّب، وينظر إلى المناظر الجميلة، ويسمع كلّ ما يحبّه، كالغناء والأصوات المطربة، ويشمّ الرّوائح الزّاكية، ويلبس ما يشتهيه، ويذهب إلى حيث يشاء، ويعمل بسفليه ما يريد، ولا يعتني برأي الشّرع والعقل أبداً، فالحرام والحلال في كلّ ذلك عنده سواء. ومثل هؤلاء الأشخاص عادة ما يذهب بهم الشيطان إلى حيث يشاء من ارتكاب المحرّمات العقليّة والشَّرعيّة، وقد عبّر القرآن الكريم عنهم بالحيوانات بل هم أضل، حيث قال -تعالى-: (إِنْ هُمْ إِلاّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ)[1].

ولا يخفى أنّ تعبير القرآن بـ (أضل)؛ لأنّ الدَّابّة تعمل ما تعمل بلا عقل، ولا حرج عليها، بينما هذا النَّوع من النَّاس يخالفون الموازين العقليّة والشّرعيّة ولهم عقول، وهذا هو الفارق بين من يتنكّب الطريق وله عينان تبصران، ومن يتنكّبه وهو أعمى، فالأوّل أسوأ من الثاني، وإن كانا في تنكب الطريق متساويين.

بالطبع في قائمة هؤلاء المنحرفين عادة ما يكون أولئك الحكّام والملوك والخلفاء الذين انغمروا بالباطل، وغرقوا في المحرّمات دون أن يلاحظوا أوامر الله -تعالى- ووعيده للعصاة والمذنبين. فقد نقل عن المعتضد العبَّاسي، أنّه لشدّة فرطه بالشَّهوات ترك شؤون الخلافة وبنى لنفسه قصراً خارج بغداد بعد أن اصطحب معه جارية جميلة كان اسمها (دريرة) ليرتكب معها كلَّما يريد ليل نهار، حتّى أنشد الشاعر ابن بسام أبو الحسن علي بن

(١) سورة الفرقان: ٤٤.

محمد بن نصر بن منصور بن بسام البغدادي، (المتوفى سنة ٣٠٢هـ). فيه:

تـــرك الـــنـــاس بـحيـــــرة وتخـــلى في الـبـحيـــــــرة
قـــاعـــداً يـــضرب بـالـطـ ـــبل عـلى حـــر دريـــرة

والبحيرة هي المكان ان الذي بنى فيه قصره.

وقد اشتهر هذا الشّعر بين النَّاس وصار شهرة على الألسن حتّى تأذّى الخليفة منهم، وترك دريرة، ورجع إلى بغداد.

ولا يخفى أنّ هذه الحالات ليست قصصاً في التاريخ فحسب، بل أمثال هؤلاء غير بعيدين عنّا اليوم، فما أكثر مثيلاتها اليوم في العالم المادّي الغربي وما أشبه، ولذا كثرت الموبقات والمفاسد في كثير من المجتمعات.

ولذلك فإنّ الله -تعالى- أكّد على أهمّيّة العقل، ودوره في الثَّواب والعقاب فقال -عزّوجلّ- في الحديث القدسي: « بك أُثيب وبك أُعاقب[1]».

٢: أسير الشَّهوات النَّفسيّة

والقسم الثَّاني من النَّاس: هم الذين قد لا يهتمّون بالحواس المادّيّة، والشَّهوات الجسديّة من الأكل والشّرب والجنس، وإنّما يسيرون وراء شهواتهم النَّفسية والخيال، من حبّ الرئاسة والكبرياء والسّلطة وما أشبه، فهم لا يهتمّون بالمأكل والمشرب وما شابه، وإنّما يحرصون فقط أن يقال لهم: (الرئيس) أو (القائد) أو...

فيركضون وراء الكراسي، ولا يهمّهم بأيِّ شكلٍ حصلوا على ذلك، بالظلم والجور وإراقة الدِّماء وهتك الأعراض وهدر الحقوق و...

سواء أكان هدفهم ملكاً أم إمارة أم خلافة أم رياسة أم غيرها من الألفاظ، إذ أنّ شغل هؤلاء الشّاغل هي السّيادة والحكم، والعلو والتَّسلّط.

وهذا القسم من الناس وإن كان أرفع من الأوَّل ـ باعتبار ـ إلاّ أنّه ساقط في درك الجحيم، حيث يقول -

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٣٦٩.

تعالى-: (تِلْكَ الدّارُ الاَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتّقِينَ) [1] .

وقال -سبحانه- عن فرعون الذي كان أحد مصاديق هؤلاء: (إِنّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مّنْهُمْ يُذَبّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) [2] .

وقد اعترف أحد الحكّام أنّ الحقّ مع أمير المؤمنين علي -عليه السلام- ولمّا سُئل لماذا تحاربه؟ أخرج خاتمه من جيبه وقال: حتّى يمهر بهذا في أخير الصّفحات.

بالطبع فإنّ هذا القسم ممّن يمشي على رجليه هو دابة في حقيقته، وقد قال -سبحانه-: (أَلَمْ نَجْعَل لّهُ عَيْنَيْنِ ، وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ ، وَهَدَيْنَاهُ النّجْدَينِ) [3] .

كما أنّ من النّاس من جمع بين الأمرين: الحواس والخيال وهو أسوأهما.

٣: مطيع العقل والشرع

القسم الثالث هم من لا يهتمّون بالأمرين الأوّلين، بل اهتمامهم فقط بالعقل والشَّرع، والسَّير سويّاً على الصّراط المستقيم، ومثال هؤلاء هم الأنبياء والأئمّة والصّالحين -عليهم السلام- وخير مصداق لذلك هما الرّسول الأعظم محمد-صلى الله عليه وآله- والإمام أمير المؤمنين -عليه السلام- الذي «قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، ومِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ» إلى أن يقول -عليه السلام-: "ولَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ واجْتِهَادٍ، وعِفَّةٍ وسَدَادٍ، فَوَ اللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً، ولا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً، ولا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً، ولا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْراً، ولا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلا كَقُوتِ أَتَانٍ دَبِرَةٍ، ولَهِيَ فِي عَيْنِي أَوْهَى وأَوْهَنُ مِنْ عَفْصَةٍ مَقِرَةٍ" [4] .

وقد بلغ الإمام -عليه السلام- أعلى مراتب العلو النَّفسي حتى أنّ الرئاسة الدنيوية كانت لا تسوى عنده

---

(١) سورة القصص: ٨٣.

(٢) سورة القصص: ٤.

(٣) سورة البلد: ٨ ـ ١٠.

(٤) نهج البلاغة: الرسائل ٤٥.

قدر نعل أو نصف درهم، إلاّ أن يقيم حقّاً أو يدفع باطلاً.

يقول عبد الله بن العباس: دخلت على أمير المؤمنين -عليه السلام- بذي قار وهو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمة هذا النّعل؟

فقلت: لا قيمة لها.

فقال -عليه السلام-: «والله لهي أحبّ إليّ من إمرتكم إلاّ أن أُقيم حقّاً أو أدفع باطلاً[1]».

ولذا قال رسول الله -صلى الله عليه وآله- في حقّه: «علي مع الحقّ، والحقّ مع علي[2]».

وقال -صلى الله عليه وآله-: «علي مع القرآن، والقرآن مع علي[3]».

وقد بقي أمير المؤمنين -عليه السلام- على تلك الحالة العظيمة حتّى قتله ابن ملجم فقال كلمته الخالدة: «فزت وربّ الكعبة[4]».

وكما ورد فإنّ ابن ملجم لمّا سأله الإمام -عليه السلام- عن سبب قتله أجاب قائلاً: أفأنت تنقذ من في النار[5]؟

وهذه أصناف الناس، وعلى الإنسان أن يربّي نفسه ليكون من الفائزين، من الذين حرّروا أنفسهم من الشَّهوات الجسدية، والنّفسية، وفازوا بالملذّات المعنوية من عبادة الله -عزوجل- ومناجاته والسَّير في نهج أوليائه الطَّاهرين من الأنبياء والمرسلين والأئمّة المعصومين -عليهم السلام-، وشهر رجب من تلك

---

(١) نهج البلاغة: الخطب ٣٣.

(٢) راجع كل من: تاريخ بغداد للبغدادي: ج١٤ ص٣٢٢ ح٧٦٤٣. تاريخ دمشق في ترجمة الإمام علي (عليه السلام) لابن عساكر: ج٤٢ ص٤٤٩. الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج١ ص٩٨، فرائد السمطين للحموييني: ج١ ص١٧٧.

(٣) راجع كل من: مستدرك الحاكم للذهبي: ج٣ ص١٣٤. مناقب الخوارزمي: ص١٧٧. كفاية الطالب للكنجي: ص٣٩٩، مجمع الزوائد: ج٩ ص١٣٤ باب الحق مع علي (عليه السلام)، الصواعق المحرقة لابن حجر: ص١٢٢، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٧٣، إسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار: ص١٥٧، نور الأبصار للشبلنجي: ص٧٣، ينابيع المودّة للقندوزي: ج١ ص١٢٤، فرائد السمطين: ج١ ص١٧٧، أسنى المطالب: ص١٣٦.

(٤) بحار الأنوار: ج٤٢ ص٢٣٩.

(٥) المصدر نفسه: ج٤٢ ص٢٨٧.

الشّهور التي يمكن للإنسان أن يبني نفسه فيها بناءً معنوياً ويلتحق بركب الصَّالحين والصَّادقين.

قال -تعالى-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ)[1].

على كلّ فإنّ لشهر رجب المعظم منزلة عظيمة عند الله عزوجل، ومكانة كريمة في الشَّرع الإسلامي وفي مدرسة أهل البيت -عليهم السلام- دلّت عليها الرّوايات والأخبار الشَّريفة، فضلاً عن تلك المناسبات المباركة التي حدثت فيه، والأعمال المهمّة التي ندب إليها أبان هذا الشَّهر المبارك.

(١) سورة التوبة: ١١٩.

قال أمير المؤمنين علي بن
أبي طالب عليه السلام:

(شهر رمضان شهر الله،
وشعبان شهر رسول الله
-صلى الله عليه وآله-
ورجب شهري)

المقنعة: ص٣٧٣-٣٧٤.

من معالم حكومة الإمام علي عليه السلام

الشيخ طاهر الغانمي

قبل أن نشير إلى أهمّ معالم حكومة الإمام علي بن أبي طالب-عليه السلام- يواجهنا هذا السؤال ألا وهو:

لماذا البحث أساساً في شخصية علي -عليه السلام- وشخصية من عاداه مثل معاوية وغيرهم، وقد قدم كلّهم إلى ربّهم؟

ألا يكفي جدار الزَّمن الذي يفصل بيننا وبين كلٍّ من عليّ -عليه السلام- وأعدائه، وهو ما يقارب ألف وأربعمائة عام، لأن نتخلّى عن هذا الموضوع؟

ثم أليس في شؤون الحاضر ،وما يضم من آمال، وآلام ما يغنينا عن النَّظر إلى الماضي؟

أليس في هذه الآلام والآمال والهموم والمتاعب غنىً وكفاية؟

هذا هو السؤال الذي يطرحه الكثيرون.

نقول: هنالك طائفة وجدت في التاريخ الإسلامي كانت تُسمّى بـ(المرجئة)، وهؤلاء كانوا يقولون بأنَّ علينا أن نرجئ الأمور إلى يوم القيامة، ولا داعي لتقييم الأفراد، والحكم عليهم، فالله -سبحانه وتعالى- هو المطَّلع على ظواهر الأفراد وبواطنهم، لذا فلنترك الحكم على الأفراد إلى ذلك اليوم الذي لا تخفى فيه على الله خافية، ولا يخفى أنَّ هذا المذهب ابتدعه الحكَّام لتبرير ما يفعلونه من معاصٍ وجرائم، وليسوّغوا لهم كلَّ قبيح ومنكر..

وللإجابة عن ذلك نقول:

أوَّلاً: الجواب النقضي، فهذه المقولة تنقض بالبحث حول النبي الأكرم -صلى الله عليه وآله- وأبي جهل، فلماذا التّحدّث عن النبي -صلى الله عليه وآله- وأبي جهل، وقد قدم كلٌ منهما على ربه؟

ولماذا نزلت سورة كاملة في القرآن الكريم حول أبي لهب؟ ونحن نقرأ دائماً:

(تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ، ما أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ)[1].. أبو لهب شخص مات وانتهى أمره في الدّنيا، فلماذا يقرأ سورة (المسد) في كل يوم؟

وهكذا الأمر بالنسبة لموسى -عليه السلام- وفرعون فقد ورد اسم النبي موسى -عليه السلام- في القرآن الكريم: ١٢٩ مرة، واسم فرعون: ٦٦ مرة.. وجاء في كثير من السور ذكر قصصهم وتاريخهم.، فكلاهما ذهبا إلى ربِّهما، فلماذا البحث حول نبي الله موسى -عليه السلام- وفرعون في القرآن الكريم وغيره؟

وثانياً: الجواب الحلّي، فإنَّ البحث عن هذه الشّخصيات ليس بحثاً عن شخوص ماتت وانتهت، وإنَّما هو بحث عن رموز للحق والباطل، والبحث عن الأخيار الماضين بحث عن شخصيات تضيء لنا طريق الحاضر والمستقبل، فالماضي هو الذي يُخطّط لنا الحاضر، والحاضر هو الذي يُبنى عليه المستقبل، فالبحث ليس حول أشخاص تاريخيين فحسب مثل أمير المؤمنين علي -عليه السلام- ومعاوية، والرَّسول الأعظم -صلى الله عليه وآله- وأبي جهل، وموسى -عليه السلام- وفرعون.. وغيرهم، وإنَّما هذه الأسماء تُمثّل قيماً معيّنة، وتجسّد خطوطاً ومناهج للسلوك، وخرائط للسير الفكري والعملي..

فهناك منهج يقتل الأبرياء ويسفك الدّماء ويحرق الأفراد المدنيّين من أجل أن يتأمّر عليهم، ومنهج يرى أنّ الإمرة بما هي لا تُساوي نعالاً مرقّعاً، أو لا تساوي عفطة عنز، أو لا تساوي ورقة في فم جرادة تقضمها..

فالبحث في أمر هؤلاء الأفراد ليس بحثاً عن الماضي فقط، وإنَّما بحث عن الحاضر والمستقبل..

---

(١) سورة المسد: ١-٢.

من معالم حكومة الإمام -عليه السلام-:

ذكرت كتب السِّير، والتاريخ في العديد من صفحاتها معالم حكومة الإمام علي -عليه السلام- الأنموذجية التي لم يشهد التاريخ مثلها، حكومة طبَّقت الأحكام الإسلامية السّمحاء، والآن نشير إلى مقتطفات منها:

١. العدالة:

قدّم الإمام -صلوات الله عليه- صوراً نادرة في العدالة تفتخر البشرية حتى اليوم بها.

عن الشّعبي قال: استأذنَتْ سودة بنت عمارة بن الأسك الهمدانية على معاوية بن أبي سفيان. فأذن لها، فسلّمت فردّ عليها السلام، ثم قال: هيه يا بنت الأسك ألستِ القائلة لأخيك يوم صفّين:

شمّر كفعل أبيك يا بن عمارة ... يوم الطعان وملتقى الأقران
وانصر علياً والحسين ورهطه ... واقصد لهند وابنها بهوان
إنّ الإمام أخا النبي محمد ... علم الهدى ومنارة الإيمان
فقه الحمام وسر أمام لوائه ... قدماً بأبيض صارم وسنان

قالت: يا أمير، ما مثلي رغب عن الحق، ولا اعتذر إليك بالكذب.

قال: فما حملك على ذلك؟.

قالت: حبّ علي -عليه السلام- واتباع الحق.

قال: والله ما أرى عليكِ من علي أثراً. قالت: أنشدك الله يا أمير وإعادة ما مضى، وتذكار ما نسي. قال: هيهات ما مثل مقام أخيك ينسى، ولا لقيت من أحد ما لقيت من قومك. قالت: ... لم يكن والله أخي ذميم المقام، ولا خفي المكان، كان والله كقول الخنساء:

وإنّ صخر ليأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

وبالله أسأل الأمير إعفائي ممّا استعفيت منه. قال: قد فعلت فما حاجتك؟.

قالت: يا أمير، إنَّك أصبحت للناس سيداً، ولأمورهم متقلّداً، والله سائلك عن أمرنا وعمّا افترض عليك من حقّنا، ولا يزال يقدم علينا من ينوء بعزك ويبطش بسلطانك، فيحصدنا حصاد السّنبل، ويدوسنا دياس البقر، يسومنا الخسيسة، ويسألنا الجليلة. هذا ابن أبي أرطأة، قدم بلادي فقتل رجالي وأخذ مالي، لعول فوهي بما استعصم الله منه، وألجأ إليه فيه، ولولا الطّاعة لكان فينا عز ومنعة، فإما عزلته فعرفناك.

فقال معاوية: أتهددينني بقومكِ، لقد هممت أن أردكِ إليه على قتب أشرس وأحملكِ إليه فينفذ فيكِ حكمه.

فأطرقت ثم بكت ورفعت رأسها تقول:

صلى الإله على روح تضمنها ... قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً ... فصار بالحق والإيمان مقرونا

قال: ومن ذلك؟.

قالت: علي بن أبي طالب -عليه السلام-.

قال: وما علمكِ بذلك؟.

قالت: أتيته يوماً في رجل ولاه على صدقاتنا لم يكن بيننا وبينه إلَّا كما بين الغث إلى السمين، فوجدته قائماً يصلّي. فلمّا نظر إليَّ انفتل من مصلّاه، ثم قال لي برأفة وتعطّف: «ألكِ حاجة؟». فأخبرته الخبر فبكى -عليه السلام-، ثم قال: «أللهم أنت الشَّاهد عليَّ وعليهم، أنِّي لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقّك، ثم أخرج من جيبه قطعة جلد كهيئة طرف الجراب فكتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، قد جاءتكم بيّنة من ربِّكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين، بقيّة الله خير لكم إن كنتم مؤمنين، وما أنا عليكم بحفيظ. إذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى يأتي من يقبضه منك والسلام».

قالت سودة: فأخذته منه، والله ما ختمه بطين ولا خزمه بخزام فعزلته به.

قال معاوية: اكتبوا لها بإنصافها، والعدل عليها[1].

يقول الإمام أمير المؤمنين -عليه السلام-: «والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهّداً، وأجر في الأغلال مصفّداً أحبّ إليَّ من ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، أو غاصباً لشيء من الحطام. وكيف أظلم وأجل النفس يسرع إلى البلا قفولها، ويطول في الثَّرى حلولها[2]».

٢. الحرّيّة:

لم يشهد التاريخ عهداً أعطيت فيه الحرّيّات وتنعّم الناس فيه بعد رسول الله -صلى الله عليه وآله- كما شهده في عهد أمير المؤمنين -عليه السلام-، حيث أتاح الحرّيّات في شتّى الجوانب ولمختلف الناس حتى لأكبر معارضيه، وقدَّم للعالم الصورة النّاصعة عن الحرّيّات الإسلامية الأصيلة.

وبالرغم أنّ بعض المسلمين لم يكونوا بالمستوى اللّائق كي يستفيدوا من هذه الحرّيّات فيما ينفعهم ويفيد بلادهم بل استفادوا من الحريات بالشّكل السّلبي، ولكن ذلك لم يمنع الإمام علي -عليه السلام- أن يمنحهم الحرية التي منحهم الإسلام إياها.

* عن جعفر بن محمد -عليه السلام- عن أبيه -عليه السلام- عن جدّه -عليه السلام-: أنّ عليّاً -عليه السلام- كان يوماً يؤم الناس وهو يجهر بالقراءة فجهر ابن الكواء من خلفه: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ)[3]. فلما جهر ابن الكواء من خلفه بها سكت علي -عليه السلام-، فلما أنهاها ابن الكواء عاد علي -عليه السلام- فأتمَّ قراءته، فلما شرع علي-عليه السلام- في القراءة أعاد ابن الكوّاء الجهر بتلك الآية فسكت علي -عليه السلام-، فلم يزالا كذلك، يسكت هذا ويقرأ ذاك مراراً، حتى قرأ علي -عليه السلام-: (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ)[4]. فسكت ابن

---

(١) نهج السعادة: ج٥ ص٣٩-٤٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطب: رقم٢٢٤.

(٣) سورة الزُّمر: ٦٥.

(٤) سورة الرُّوم: ٦٠.

الكواء وعاد علي –عليه السلام– إلى قراءته[1].

* كان أبو هريرة قد تكلّم في أمير المؤمنين –عليه السلام–، فجاءه بعد يوم من تكلمه فيه، وسأله حاجة فقضاها له، فعاتبه أصحابه على ذلك، فقال–عليه السلام–: «إنّي لأستحي أن يغلب جهله علمي، وذنبه عفوي، ومسألته جودي»[2].

* قال له الجعد بن نعجة الخراجي: اتق الله يا علي إنّك ميِّت!.

فقال –عليه السلام– له: «لا بل والله قتلاً، ضربةً على هذا ـ وأشار إلى رأسه الشّريف ـ قضاءً مقضياً، وعهداً معهوداً، وقد خاب من افترى[3]».

٣. المساواة:

وهي الرَّكيزة الأساسية في حكومة أمير المؤمنين –عليه السلام– حيث ساوى بين الشّعب ولم يرجح أحداً على أحد، ففي التاريخ أنّ عقيلاً سأله شيئاً من بيت المال فأحمى له حديدة وقرّبها منه فأنَّ عقيل منها، وإلى ذلك يشير –عليه السلام– في قوله:

«والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحني من برّكم صاعاً، ورأيت صبيانه شعث الشّعور غبر الألوان من فقرهم كأنّما سُوّدت وجوههم بالعِظْلِم، وعاودني مؤكّداً وكرّر عليّ القول مردداً، فأصغيت إليه سمعي فظنَّ أنِّي أبيعه ديني وأتبع قياده مفارقاً طريقي، فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها فضجّ ضجيج ذي دنف من ألمها، وكاد أن يحترق من مِيْسَمها.

فقلت له: ثكلتك الثّواكل يا عقيل، أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه. أتئن من الأذى ولا أئن من لظى»[4].

٤. العفو والتّسامح:

لم يكن أمير المؤمنين –عليه السلام– على الرّعية سبعاً ضارياً ولم يستخدم سياسة البطش والعنف أبداً، بل

(١) شرح نهج البلاغة: ج٢ ص٣١١.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج٢ ص١١٤.

(٣) الغارات: ج١ ص٦٦.

(٤) نهج البلاغة، الخطب: رقم٢٢٤.

كانت سياسته مع الرّعيّة مبنيّة على التّسامح والنّبل والعفو عن تقصير الآخرين، والمجازاة بالتي هي أحسن.

ففي حرب الجمل وبعد أن وضعت الحرب أوزارها وجرى ما جرى بين المسلمين، أمر -عليه السلام- بلمة من النساء أن يوصلوا عائشة ولم يعاقبها، وكذلك تعامل مع جميع من كان معها، فدعا ببغلة رسول الله -صلى الله عليه وآله- الشّهباء فركّبها...

وكذلك لما انتهى الإمام -عليه السلام- إلى دار عظيمة كانت تضم رؤوس الأعداء في حرب الجمل، فاستفتح ففتح له، فإذا هو بنساء يبكين بفناء الدّار، فلمّا نظرْنَ إليه صحن صيحة واحدة وقلن: هذا قاتل الأحبة. وكانت هذه حيلة منهنّ لينصرف الإمام عن تفتيش الدّار والعثور على من فيها.

فلم يقل -عليه السلام- لهنَّ شيئاً، وسأل عن حجرة عائشة، ففتح له بابها، فسمع منها كلام شبيه بالمعاذير...

قال -عليه السلام-: ولو قتلت الأحبة لقتلت من في هذه الحجرة، ومن في هذه الحجرة، ومن في هذه الحجرة. وأومأ إلى ثلاث حجرات...

قال الأصبغ: وكان في إحدى الحجر عائشة ومن معها من خاصتها، وفي الأخرى مروان بن الحكم وشباب من قريش، في الأخرى عبد الله بن الزّبير وأهله. فقيل له: فهلا بسطتم أيديكم على هؤلاء فقتلتموهم؟.

أليس هؤلاء كانوا أصحاب القرحة فلم استبقاهم؟.

قال الأصبغ: قد ضربنا والله بأيدينا على قوائم السيوف حددنا أبصارنا نحوه لكي يأمرنا فيهم بأمر فما فعل ووسعهم عفوه[1].

* وذات مرّة مرّ الإمام -عليه السلام- بجارية تبكي فقال: يا جارية ما يبكيكِ؟.

فقالت: بعثني مولاي بدرهم فابتعت من هذا تمراً فأتيتهم به فلم يرضوه، فلمّا أتيته به أبى أن يقبله، قال -عليه السلام-: «يا عبد الله، إنَّها خادم وليس لها أمر فاردد إليها درهمها وخذ التّمر». فقام إليه الرجل فلكزه. فقال الناس: هذا أمير المؤمنين، فربا الرجل واصفر وأخذ التمر وردّ إليها درهمها ثم قال: يا أمير المؤمنين ارضَ عنّي. فقال: «ما أرضاني عنك إن أصلحت أمرك[2]».

---

(١) دعائم الإسلام: ج١/ ص٣٩٤-٣٩٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج٢/ ص١١٢.

وكان –عليه السلام– يوصي ولاته بسياسة العفو والصّفح، ففي كتابه إلى مالك الأشتر لمّا ولّاه على مصر قال –عليه السلام–: «وأشعر قلبك الرّحمة للرّعية والمحبّة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم؛ فإنَّهم صنفان: إمّا أخ لك في الدّين، وإمّا نظير لك في الخلق. يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ. فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنّك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك» [1].

هذه بعض معالم حكومة أمير المؤمنين–عليه السلام– عاش الناس في ظلها أجمل أيّام حياتهم، وإذا ما أردنا أن نعيش في خير وسلام فما علينا إلا نرجع إلى تلك المعالم الرشيدة التي نشرت كلَّ مظاهر الرفاه والسعادة.

(١) نهج البلاغة، الرسائل: رقم٥٣.

المرأة تصنع الانتصارات في كربلاء

رضا منصور

لم تكن المرأة بعيدة عن المشاركة في نهضة عاشوراء، بل كان لها دور مميز في جميع فصولها، ولقد رسمت المرأة أروع الصّور في تلك النّهضة المباركة، ووقفت بكلِّ شموخ أمام ذلك الطغيان، متحدّية كلَّ تلك الممارسات الهادفة إلى وأد النَّهضة.

ويمكننا الإشارة إلى مجموعة من الأفكار:

أوَّلاً: المشاركة في صناعة الحدث

إنَّ كلّ فرد لاشكّ وأنَّ له قدرة معيَّنة يمكن من خلالها المشاركة في صناعة الأحداث التَّاريخية، بل هناك أحداث تستقطب الإنسان للمشاركة في فعَّالياتها، وهذا ما نجده جليّاً في نهضة عاشوراء.

ولقد كان للمرأة حضور ملفت في تلك النَّهضة المباركة، بل كان لها دور واضح في صنع التَّاريخ الكربلائي المشرق.

في كربلاء هنالك عدة أدوار قمن بها مجموعة من النسوة، وسيّدتهنَّ الحوراء زينب-عليها السلام-، ومن بين هذه الأدوار:

وسيلة إعلامية

إنَّ كلَّ عمل ليس له استمرارية فمصيره النِّسيان، وربما الدَّفن إلى أبد الآبدين، ولذا لابد من صوت ينشر تلك المفاهيم التي تضمّنتها تلك النَّهضة، وهذا ما نجده جليّاً في سيرة السّيّدة زينب-عليها السلام-، والتي تعتبر بحق صوت الإمام الحسين -عليه السلام- الهادر.

ولقد قال المؤلِّف المسيحي الكبير (انطون بارا) هذه الكلمة: "ثورة الحسين بِدؤها حسيني، واستمرارها زينبي".. ولقد عقدت السَّيّدة زينب عدَّة (مؤتمرات) عبَّرت فيها عن موقفها وظلامة أهل البيت -عليهم السلام-، ورفضها للسلطة الظالمة.

وهنا يمكن للمرأة أن تتّخذ من السيدة زينب-عليها السلام- قدوة لها في المجال الإعلامي، وذلك من خلال تشكيل المؤتمرات العلمية الهادفة لرفعة الدِّين الإسلامي، والمشاركة في الكتابة في مختلف الشّؤون الثقافية، وإلقاء المحاضرات عبر القنوات الفضائية ما دام لا يوجد محذور شرعي، وتربية الأبناء تربية صالحة رصينة على نهج آل البيت -عليهم السلام-، وغرس القيم النبيلة في نفوسهم، وغيرها من الطّرق الحديثة في المجال الإعلامي.

الجهاد بالمال

تحتاج النّهضة إلى بذل الجهد والمال لتحقيق أهدافها، وهناك العديد من الآيات الشّريفة التي تحثّ على الجهاد بالمال أوّلاً، منها قوله -تعالى-: (انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) سورة التوبة:٤١.

وفي نهضة عاشوراء مثل هذا الجانب، تلك المرأة المؤمنة (مارية العبدية) التي بذلت أموالها في خدمة النّهضة الحسينية وتشجيع الرجال للانخراط في صفوف المجاهدين مع سيّد الشّهداء الإمام الحسين-صلوات الله عليه-.

وهذا درس آخر نتعلّمه من هذه النّهضة المباركة، فكل امرأة تستطيع أن تسهم في ديمومة النّهضة الحسينيّة من خلال دعمها المالي للمجالس الحسينية، أو طباعة الكتب الثّقافية، أو مساعدة إحدى القنوات الفضائية الإسلامية الهادفة للاستمرارية في بثّ برامجها.

لقد أخرجت واقعة كربلاء (دلهم بنت عمرو) التي أثَّرت في زوجها زهير بن القين والذي كان بعيداً عن الخط الحسيني، وجعلته من رجال النَّهضة الذين رسموا بدمائهم الزَّاكية ملامح انتصار الدّم على السيف. وأخرجت أيضاً (أم وهب) التي دفعت بزوجها ليلتحق بركب الشّهداء الأبرار.

نعم فالمرأة هي المحرّك للأجواء العائلية، وبإمكانها أن تصنع الرّجال الأفذاذ الذين يسهمون في صناعة الانتصارات. ولذا فمن مسؤوليات المرأة اليوم أن تبث روح الإيمان في نفوس أفراد العائلة، وتشجّعهم للمشاركة

في النّشاطات الاجتماعية الهادفة.

الالتزام بالمبادئ والقيم

حينما نتأمّل في سيرة هؤلاء النّسوة نجد أنّهنّ على قدر كبير من التّحلّي والالتزام بالقيم والمبادئ، ولهذا قمنَ بهذه الأدوار البطولية. ولهذا نجد السّيّدة طوعة تقف بكلّ شموخ مدافعة عن القيم والمبادئ المتمثّلة في القيادة (مسلم بن عقيل) في وقت عصيب جدّاً، وذلك حين تخلّى عنه أهل الكوفة. لقد بذلت كلّ ما بوسعها لأجل الدّفاع عنه في القصّة المشهورة.

وهذا يدعو المرأة اليوم إلى تنمية الجانب الإيماني، والتّحلّي بالقيم والمبادئ، لتبقى محافظة على هويّتها وشخصيتها أمام تلك الضّغوط والتّحدّيات الهادفة إلى تمييع شخصية المرأة، وتوهيت دورها في المجتمع واختزاله بمظاهر التبرج.

وأخيراً يمكن القول أنَّ المرأة في عاشوراء، وبعد عاشوراء، وقفت جنباً إلى جنب مع الرّجل لتصنع الانتصارات العظيمة، وهذا ما نجده اليوم واضحاً ونحن نواجه أخبث عدو على الإنسانية، وهم داعش وأذنابهم، إذ نجد الأمهات تحث أبنائها على الجهاد وبذل النفس من أجل المقدسات، متخذات من نساء الطف قدوة وأسوة في البذل والعطاء من أجل إعلاء كلمة الحق .

قال الإمام السجّاد عليه السلام لعمته زينب عليها السلام:

"أنت بحمد الله عالمة غير معلّمة وفهمة غير مفهّمة"

بحار الأنوار/ج٤٥/ص ١٦٤.

الجوادان -عليهما السلام- منارتا العلم والمعرفة

الشيخ عبدالله اليوسف

عاش وتربَّى الإمام موسى الكاظم -عليه السلام- في ظلّ أبيه الإمام جعفر الصَّادق -عليه السلام- عقدين من الزَّمن، ينهل فيها من آداب وأخلاق والده الكريم، ويغترف من علومه ومعارفه في مختلف الحقول المعرفية، وقد أصبح الإمام الكاظم -عليه السلام- بعد والده منارة علم ومعرفة، ومن أجل نشر علوم أهل البيت -عليهم السلام- قام من ضمن ما قام به من أنشطة وأعمال علمية بما يلي:

أوَّلاً: تأسيس مدرسة علميّة:

أسَّس الإمام موسى الكاظم -عليه السلام- مدرسة علميَّة لمواصلة ما بدأه الإمام الصادق -عليه السلام- في مدرسته العلمية الضَّخمة، بهدف تربية وتعليم شخصيات علمية كبيرة، تكون بمستوى العطاء العلمي والفكري الذي تحتاجه الأمَّة، وترفد المجتمع بكفاءات علميّة بارزة وقادرة على الإنتاج العلمي والمعرفي، والتَّصدّي لأيَّة إشكالات علمية تطرح من قبل أعداء الفكر الإسلامي.

وقد بدأ الإمام الكاظم -عليه السلام- بإلقاء الدّروس والمحاضرات العلميّة، ورواية النّصوص والأحاديث في مختلف المعارف والعلوم كالفقه والحديث والعقائد والتَّفسير والأخلاق وغيرها من العلوم والمعارف الدّينية على طلّابه وتلامذته ومريديه.

وقد تخرّج من هذه المدرسة العلمية نخبة من الفقهاء ورواة الحديث، قُدِّر عددهم بـ(٣١٩) عالماً وفقيهاً وقد تميّز أصحابه بالصدق والأمانة وأجمع الرّواة على تصديقهم فيما يروونه عن الأئمة -عليهم السلام- على أنه اشتهر بين المحدثين ثمانية عشر فقيهاً ومحدثاً من أصحاب الأئمة الثلاثة: (الباقر والصادق والكاظم) وهم المعروفون بأصحاب الإجماع، ستة من أصحاب (أبي جعفر) وستة من أصحاب (أبي عبد الله) وستة من أصحاب (أبي الحسن موسى) ، وهم: (يونس بن عبد الرحمن) ، (وصفوان بن يحيى بياع السابري) ، و (محمد

بن أبي عمير)، و (عبد الله بن المغيرة) ، و(الحسن بن محبوب السرّاد) ، و (أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي) هذا في المجال الفقهي أما الميادين الفكرية الأخرى مثل الكلام والقرآن، واللغة وما شاكل ذلك فلها أيضاً نخبة متخصِّصة فيها[1] .

وكتب السيد ابن طاووس: إنه كان جماعة من خاصَّة أبي الحسن موسى من أهل بيته وشيعته يحضرون مجلسه ...، فإذا نطق -عليه السلام- بكلمة وأفتى في نازلة أثبت القوم ما سمعوا منه فيها[2].

ولم يقتصر طلاب مدرسة الإمام الكاظم -عليه السلام- العلمية على الشّيعة فقط، بل شمل مختلف المذاهب الإسلامية، إذ صارت مدرسته حديث العلماء في كلِّ الأمصار، ومهوى العلم والمعرفة من كلِّ حدبٍ وصوب، وأخذ الجميع بمن فيهم كبار العلماء من مختلف المذاهب يروون عن الإمام الكاظم -عليه السلام- .

فقد كان أحمد بن حنبل إمام المذهب الحنبلي يروي عن الإمام الكاظم ويقول: حدثني موسى بن جعفر، قال: حدثني أبو جعفر بن محمد، قال: حدثني أبو محمد بن علي قال: حدثني أبي علي بن الحسين، قال: حدثني أبي الحسين بن علي، قال حدثني أبي علي بن أبي طالب -عليهم السلام-؛ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وآله- ثم قال أحمد: وهذا إسناد لو قرئ على المجنون لأفاق[3].

وممن أخذ من الإمام الكاظم -عليه السلام- وروى عنه: الخطيب في تاريخ بغداد، والسمعاني في الرسالة القوامية، وأبو صالح أحمد المؤذن في الأربعين، وأبو عبد الله بن بطة في الإبانة، والثَّعلبي في الكشف والبيان[4] .

وما كان لعلم الإمام الكاظم -عليه السلام- أن ينتشر في كلِّ مكان لولا قيام تلامذته بدور هام في نشر علومه ومعارفه بين الخاصَّة والعامَّة، فقد خرَّجت مدرسة الإمام الكاظم -عليه السلام- نخبة متميزة من العلماء والفقهاء كالفقيه والمحدِّث الشهير محمد بن أبي عمير، والفقيه المتكلِّم هشام بن الحكم، وقد برع في علم الكلام، وفنِّ المناظرة والجدل، وقد روى هشام الكثير من الروايات في الأحكام والعقائد والكلام والتفسير، وقد عُرف واشتهر بمناظراته القوية مع الكفار والملحدين والزنادقة وغيرهم، وكان يخرج في كلِّ مرَّة منتصراً، حتى أنَّ

---

(١) أعلام الهداية، ص ١١٠.

(٢) الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية، ص ١٥٨.

(٣) مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص ٣٤١ - ٣٤٢.

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص ٣٤١ - ٣٤٢.

بعضهم كان يرجع إلى الحق.

ثانياً- إرساء قواعد المنهج الاستدلالي:

أرسى الإمام الكاظم-عليه السلام- قواعد منهج الاستنباط والتّفقّه في الدّين؛ إذ نلتقي في تراث الإمام الكاظم-عليه السلام- بنصوص ترتبط بحرمة القول بغير علم، وحجية الظّواهر، وحجية خبر الواحد، ونصوص ترتبط بعلاج حالات التّعارض بين الأحاديث، ونصوص ترتبط بالمنع من القياس، ونصوص ترتبط بأصالة البراءة ووجوب الموافقة القطعية في أطراف العلم الإجمالي والاستصحاب، وعدم جواز الرجوع إلى الأصل قبل الفحص عن الدليل... وهذه النّصوص تُشير إلى أنَّ الإمام-عليه السلام- كان بصدد إرساء قواعد ومنهج الاستنباط والتّفقّه في دين الله -تعالى-.

وإذا لاحظنا النّصوص التي تُقدِّم لنا مجموعة مهمَّة من القواعد الفقهية إلى جانب غيرها من النّصوص التي تتضمّن الأحكام الفقهية التي أثرت عنه-عليه السلام- فإنَّنا نستيقن بأنَّ الإمام-عليه السلام-كان يخطِّط لتكامل المدرسة الفقهية الاجتهادية ويربّي العلماء على منهجها بحيث يضمن للرسالة ولخط أهل البيت -عليهم السلام- الدّوام والحضور الفاعل في ميادين الحياة بالرغم من كلِّ التّحدّيات[1] .

وقد أراد الإمام الكاظم-عليه السلام- بذلك التّخطيط العلمي لآليات استنباط الأحكام الشّرعية، لحجز الأمّة عن اتباع مناهج وآليات غير سليمة في مجال الاستنتاج، ممّا يؤدّي إلى نتائج معكوسة في مجال الحياة العامَّة، ويخلق مجتمعاً غير مستند إلى روح الشّريعة ومقرراتها وأهدافها، يسير بشكل عشوائي نحو الفوضى والخواء والفناء.

فالتّجديد ينبغي أن يتم في إطار النّصوص الإسلامية الثّابتة، وإلّا فهو ابتعاد عن الحقيقة وتقليد محض يكرّس إشكالية التبعية لإنتاج أزمات متتالية[2].

ووجود القواعد الفقهية والأصولية التي وضعها أئمة أهل البيت-عليهم السلام- للرجوع إليها في عملية

---

(١) أعلام الهداية: الإمام موسى بن جعفر الكاظم، المجمع العالمي لأهل البيت، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ص ١٥٤.

(٢) الفكر الإصلاحي للإمام موسى بن جعفر-عليه السلام-محمد سعيد الأمجد، المركز الإسلامي المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص ١٠٣.

التَّطبيق العملي لاستنباط الرَّأي الشّرعي أكبر ضمانة لمنع الوقوع في الخطأ، الذي يقع فيه أصحاب المناهج ذات التَّفكير الحر، الذي لا يرى نفسه مقيداً بضوابط وآليات المنهج الاستدلالي، ويرى نفسه مجتهداً قبال النّصوص الدينية، ومنفلتاً من أيَّة آليات علمية ليضع لنفسه آليات خاصة خاضعة لذوقه واستحسانه الشَّخصي، وهو الأمر الذي يوقع صاحبه في إشكاليات مضاعفة.

إنَّ الإمام الكاظم-عليه السلام-وهو يثبت القواعد، ويؤصل الأصول إنَّما أراد زيادة رسم المنهج الاستدلالي لأهل البيت -عليهم السلام-؛ ليكون واضحاً ومفصلاً بحيث يستوعب المتغيرات الزَّمانيّة والمكانيَّة.

وبالإضافة إلى ذلك، فقد ورد عن الإمام الكاظم-عليه السلام- مجموعة مهمَّة من النُّصوص والأحاديث في المجال الفقهي، وهي تُشكِّل بمجموعها مرجعية في الاستنباط الفقهي، والاستدلال على الأحكام الشَّرعيّة.

وكان الإمام الكاظم-عليه السلام-يحث أصحابه على التَّفقّه في الدّين، ومعرفة الأحكام الشَّرعيّة، إذ يقول:

« تفقّهوا في دين الله، فإنَّ الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة، والسبب إلى المنازل الرفيعة والرتب الجليلة في الدين والدنيا، وفضل الفقيه عن العابد كفضل الشَّمس على الكواكب، ومن لم يتفقّه في دينه لم يرضَ الله له عملاً»[1] .

العطاء العلمي للإمام الجواد-عليه السلام-

وأمَّا الإمام محمد الجواد-عليه السلام-فقد أذهل العلماء والفقهاء والفلاسفة بسعة علومه ومعارفه، وقدرته الفائقة في الإجابة عن مختلف الأسئلة والإشكاليات التي كانت تطرح عليه إمَّا امتحاناً له لمعرفة أهليته بالإمامة، أو للحط من مكانته العلمية أمام الناس؛ لكن الإمام الجواد-عليه السلام- كان يخرج في كلِّ مرَّة منتصراً على الجميع، بل كان مُدهشاً لهم لقدراته العلمية الخارقة في سنِّه المبكّر، مما جعله معجزة علمية تصغر أمامها كلّ العباقرة والنَّوابغ في العلوم والمعارف.

وقد كان للإمام الجواد-عليه السلام- عطاء علمي وفكري متميّز في أهم العلوم والمعارف الإسلامية الكبرى، وهو الأمر الذي أسهم في تدعيم الثّقافة الإسلاميّة، وتعميق الرّؤية الفكرية للإسلام، خصوصاً في عصره الذي تميّز بنهضته العلمية، وتقدّمه الحضاري، فقد انتشر في عصر الإمام الجواد-عليه السلام- بناء

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٧٥، ص ٣٢١.

المدارس والمعاهد العلمية، وتنامت الحركات الثّقافيّة والمعرفية، وكان الناس يتلهّفون على طلب العلم واكتسابه.

وكان عطاء الإمام محمد الجواد-عليه السلام- العلمي والفكري بارزاً ومؤثراً ومهمّاً، وقد أسهم في مجالات علمية مهمة؛ كعلم الفقه، وعلم الحديث، وعلم الكلام، وعلم التّفسير.

ففي علم الفقه كان للإمام الجواد-عليه السلام- لمسات واضحة وجليّة، فكل من يبحث في الكتب الحديثية والفقهيّة سيجد أنَّ للإمام الجواد-عليه السلام- مسائل فقهية في مختلف الأبواب الفقهية، وقد اعتمد الفقهاء والعلماء في استنباط مجموعة من المسائل الفقهيّة استناداً لما صَحَّ عنه-عليه السلام- .

وفي علم الحديث أحصى الشيخ العطاردي في مسنده ٢٥٠ حديثاً مرويّاً عن الإمام الجواد-عليه السلام- وأنَّ عدد أصحابه ورواته ١٢١ راوياً، وكان من بين أصحاب الإمام وتلامذته ورواته شخصيات بارزة مثل: علي بن مهزيار، أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، زكريا بن آدم، محمد بن إسماعيل بن بزيع، الحسين بن سعيد الأهوازي، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، وكان كل واحد منهم علماً بذاته في المجالات العلمية والفقهية، وكان بعضهم صاحب تأليفات ومصنّفات في غير حقل من حقول المعارف الإسلامية.

وتنبع أهمّيّة ما رواه الإمام الجواد-عليه السلام- من أحاديث وروايات بأنَّها مسندة من الجواد عن أبيه عن جده عن آبائه عن أمير المؤمنين-عليه السلام- وهو أعلى درجة إسناد في علم الرّواية، وأقوى درجة مضمون ومحتوى في علم الدراية. وهو الأمر الذي يعطي مرويّات الإمام الجواد -عليه السلام- كباقي الأئمة المعصومين- أهمّيّة بالغة في الاستناد عليها، والاستفادة منها، واستخراج المفاهيم الدّينيّة والأحكام الشّرعيّة من مداليلها ومحتوياتها، ومحاولة استنطاق مضامينها ومحتوياتها المتعدّدة والمتنوّعة من خلال التّأمّل والتّفكّر فيها.

وفي عصر الإمام الجواد أثيرت مجموعة من الشّبهات والتّساؤلات حول مسائل التّوحيد التي هي أساس العقيدة الإسلامية، وقد تصدّى الإمام الجواد-عليه السلام- إلى توضيح العقيدة الصّحيحة فيما يرتبط بموضوع التّوحيد، ودفع الشّبهات والإشكاليات التي كان يروج لها المشكّكون والفرق المنحرفة والضّالة.

الإمام الجواد وعلم الحديث

استشهد الإمام الجواد-عليه السلام- وهو في الخامسة والعشرين من عمره، وهذه المدّة لم تتح فيها للناس

الفرصة الكافية للاتصال به. ورغم قصر هذه المدّة فإنَّ في أيدينا الآن أكثر من مائتين وعشرين حديثاً مروياً عن الإمام الجواد-عليه السلام- في مواضيع مختلفة مضافاً إليها مسائل أخرى منقولة عنه بواسطة الأصحاب أو كتبهم. وهذا العدد من الأحاديث هو ما وصل إلينا طبعاً، ولا شكَّ أنَّ هناك الكثير من المكاتيب التي كتبها الأئمة إلى أصحابهم وحالت الظّروف السياسية آنذاك دون وصولها إلينا.

وقد روى الأحاديث المذكورة مائة وواحد وعشرون راوٍ، وأحصى الشيخ الطوسي مائة وثلاثة عشر راوٍ لأحاديث الإمام الجواد-عليه السلام- وهذا العدد من الأحاديث يعكس مدى عظمة الإمام العلمية وإحاطته بالفقه والتفسير والكلام والدعاء والمناجاة[1].

ومن ناحية أُخرى أنَّ رواة أحاديث الإمام الجواد-عليه السلام- لا ينحصرون في الشيعة، بل قد نقل بعض المحدثين والعلماء السنة للأحكام الإسلامية من ذلك الإمام، ومنهم على سبيل المثال: الخطيب البغدادي الذي روى عن الإمام أحاديث بسنده الخاص به هو، كذلك روى عنه الحافظ عبد العزيز بن أخضر الجنابذي في كتاب معالم العترة الطاهرة، ومؤلفون آخرون مثل أبي بكر أحمد بن ثابت، وأبو إسحاق الثعلبي، ومحمد بن مندة بن مهربذ في كتبهم التاريخية والتفسيرية[2].

وتنبع أهمية ما رواه الإمام الجواد-عليه السلام- بأنها أحاديث مسندة من الجواد عن أبيه عن جدّه عن آبائه عن أمير المؤمنين-عليه السلام- وهو أعلى درجة إسناد في علم الرواية، وأقوى درجة مضمون ومحتوى في علم الدراية. وهو الأمر الذي يعطي مرويات الإمام الجواد-عليه السلام- كباقي الأئمة المعصومين- أهمّيّة بالغة في الاستناد عليها، والاستفادة منها، واستخراج المفاهيم الدينية والأحكام الشّرعية من مداليلها، وأهمّيّة التّأمّل والتفكر في مضامينها ومحتوياتها.

---

(١) الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت-عليهم السلام-، ج٢، ص١٢٢.

(٢) سيرة الأئمة الاثني عشر-عليهم السلام-، ص ٥٠١ ـ ٥٠٢.

قال الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله:

(شهر شعبان
تشعّب فيه الخيرات)

بحار الأنوار: ج٩٤ ص٧٣.

شهر شعبان

الإمام زين العابدين –عليه السلام–
بين البعد الاجتماعي والنّهج العبادي

العباس –عليه السلام– المجاهد الشَّهيد

علي الأكبر شخصية فذة
وحياة مفعمة بالعظمة

التمسّك بالمرجعية في زمن الغيبة الكبرى

من فوائد وجود الإمام –عليه السلام–

كيف نتعامل مع الفتن

نفحات من الذاكرة

خازن الكتاب المسطور

الشيخ محمد الفراتي

لقد ورد هذا المقطع في إحدى زيارات الإمام الحسين -عليه السلام- «يا خازن الكتاب المسطور»(١)، وورد أيضاً: «أشهد أنَّك التَّالي لكتاب الله»(٢)، وأيضاً: « تلوت الكتاب حقَّ تلاوته» (٣) ووردت العبارة الأولى هكذا (يا خازن الكتاب المشهور)(٤)

هل المقصود من لفظة الكتاب القرآن الكريم؟

أم إنَّ لفظة الكتاب تطلق على القرآن الكريم، وعلى غيره من الحقائق التَّكوينية الأخرى التي لها صلة ما بالقرآن؟

وهل إنَّ لفظة (التَّالي) أو (التَّلاوة) أو (تلوت) تعني القراءة أم المتابعة؟

وهل إنَّ لفظة (خازن) تعني الحفظ فقط أم شيء آخر؟

وهل إن لفظة (مسطور) تعني المدوّن والمكتوب أم أنَّه مسطور في الصّدور؟

هذه المفردات كلُّها تحتاج إلى تأمّل، وتدبّر، وتبيان؛ كي نتعرّف على معنى العبارة، وبالتَّالي نكون قد اقتربنا شيئاً ما من مكانة وعظمة الإمام الحسين -عليه السلام-.

لذلك سنحاول أن نجيب عن هذه التّساؤلات بالنّقاط الآتية:

أوّلاً: علينا أن نعرف أنَّ كلمة كتاب استخدمت في القرآن الكريم في معنيين أو أكثر، فمرَّة أُريد منها القرآن

(١) بحار الأنوار، ج٩٨،ص٣٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٩٨،٣٥٣.

(٣) من زيارته المطلقة في مزار السيد ابن طاووس والبحار ج١٠١، ص١٥٩.

(٤) البحار ١٠١ ص ٢٦٠.

الكريم نفس باعتباره كتاب الله –تعالى– مثل قوله –تعالى– (**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ**)[1].

ومرّة استخدمت وأريد منها الكتاب التّكويني الأشمل والأوسع من القرآن كما في قوله–تعالى–: (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ)[2] فهذا اللوح هو الآخر كتاب يضم في أعماقه القرآن بما يحمل، ويشير.

ومرَّة استخدمت كلمة الكتاب، وأريد منها النّبوة كما في قوله –تعالى–: (**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة** ..) فقد ورد في معنى كلمة كتاب هنا في هذه الآية إنَّها النّبوّة كما في روايات الأئمة في تفسير البرهان وغيره.[3]

ومرَّة استخدمت كلمة (كتاب)، وأريد منها الإمام المعصوم –عليه السلام– مثل قوله –تعالى– (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ)[4].

فقد ورد في الأحاديث أنَّ المراد من هذا الكتاب هو الإمام المعصوم[5].

وعلى هذا الأساس يكون معنى (الكتاب المسطور) احتمالات:

الاحتمال الأول: أما أنَّه –عليه السلام– خازن لمعاني القرآن الكريم، وأسراره، ولطائفه، وحقائقه، وبطونه، وأعاجيبه، فقد سئل أحد الرجال من الإمام الحسين –عليه السلام– أن يفسّر له (كهيعص) فقال له لو فسرتها لك لمشيت على الماء (٦).

وكما روي عنهم –عليهم السلام– : «لو ضاع لأحدكم عقال بعير لوجده في القرآن»(٧).

أي لوجده من خلال علوم القرآن الكريم، وأسراره، فهذا بالنسبة لعقال بعير فكيف بالخلق، والإعادة،

---

(١) سورة ابراهيم، الآية:١ .

(٢) سورة البروج، الآية: ٢٢ .

(٣) ويمكن مراجعة تفسير البرهان وتفسير الصافي وأمثالها .

(٤) سورة البقرة، الآية:٢ .

(٥) ينظر تفسير كنز الدقائق، ج١، ص٨٧ . وتفسير القمي،ج ١، ص٥.

(٦) ينابيع المودة ج٢، ص٤٠٣، ط إسلام بول عام ١٣٠١هـ

(٧) المصدر نفسه، ص٤١٢

والإماتة، والرِّزق، والتَّحويل، والتّغيير، وبقيّة الخوارق، والعروج إلى السَّماء، وغيرها من الأعاجيب.

الاحتمال الثّاني: أن يكون الإمام الحسين -عليه السلام- خازناً للكتاب التّكويني وهو اللوح المشار إليه في الآية السابقة، وقد يكون خازناً لكلاهما، وهو المناسب جدّاً.

الاحتمال الثّالث: إنَّ المراد من الكتاب المسطور هم سجل الوجود المعبّر عنه عند الفلاسفة بـ(الهيولى)[1] أي المادّة الأولى للوجود الإمكاني، وقد تمَّ تدوين جميع مفردات هذا الوجود الإمكاني في رقّ منشور وهو قلب المعصوم فاطلع -عليه السَّلام- على جميع أسرار الكون والموجودات وهو معنى قوله -تعالى-: **(مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا)**[2] .

فإنَّه -تبارك وتعالى- أشهدهم خلق العالم بأطواره، ومراتبه، وأسراره، وخفاياه، فتمّ خزن هذه المعلومات المهولة في قلب المعصوم -عليه السلام-.

ومن هذا ينكشف أنَّ الإمام الحسين -عليه السلام- خازن لخزائن الله -تعالى- إذ لا يوجد أرفع درجة من النّبوة، والإمامة، والولاية وهي الكتاب الرَّفيع الذي أدرجه الله في قلوب الأنبياء -عليهم السلام-.

ومعنى الخزن هو المحافظة على الشَّيء مع بثّه، وإخراجه وفق الحكمة كخازن المال فإنَّه يعطي وفق أوامر الملك، مثل رضوان خازن الجنان، فالإمام الحسين -عليه السلام- خازن الكتاب أي الحامل لأسراره، وعلومه المرتبطة بالله-تبارك وتعالى-، وبالخلق، ولا يخرج شيء منه إلَّا بالحكمة الإلهية، بل لا يتصرف هو إلَّا وفق الحكمة، وكان من الحكمة استشهاده، نعم ليس من الميسور لأمثالنا إدراك هذه الحكمة؛ لأنَّها في رتبتهم رتبة النّور.

وهذا معنى إنَّ هذا الكتاب العظيم مسطور في قلب الإمام الحسين -عليه السلام- فهو ليس مسطوراً في الصحف بل في صدور الذين أوتوا العلم، وهم الأوصياء -عليهم السلام-، فيكون الحسين -عليه السلام- طائعاً لأوامر الله -تعالى- الواصلة إليه عبر الكتاب المسطور الذي سطر في قلبه إلهاماً، وخلقاً، وجعلاً، وإنزالاً ....

---

(١) انظر شرح الأسماء الحسنى ملّا هادي السبزواري، ص١٥٨ .

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥١ .

كما قال أمير المؤمنين-عليه السلام- في إحدى خطبه وهو يصف الأئمة: «كهف كتبه...»[1]

وبهذا يتبيّن معنى أنَّ سيّد الشّهداء -عليه السلام- التالي لكتاب الله أي يتلو هذا الكتاب حرفاً بحرف، وكلمة بكلمة، فهو تاليه أي متابع، وخاضع، وممتثل لأحكام الكتاب المسطور.

وطاعته -عليه السلام- لله عبر أحكام الكتاب طاعة دقيقة، وفائقة جدّاً وهو المعبّر عنه «حقَّ تلاوته». أي حقَّ المتابعة الشَّديدة، وهي من جملة الأحكام الشَّاقّة جدّاً التي تتطلّب امتثالاً مذهلاً.

وقد عبَّر العلماء القدماء عن هذا الأمر بـ(الأحكام الخاصة) أو (التَّكليف الخاص) وقد عمل بعض المعاصرين على رفض هذه الفكرة في هذه الأزمنة إلَّا إنها فكرة صحيحة .

وهو معنى قول الإمام الصَّادق -عليه السلام- في زيارته للإمام الحسين -عليه السلام-: «ومضيت للذي كنت عليه»[2]

فهذا التَّكليف كان قد خُط على الإمام الحسين بمحض اختياره، وحبِّه، وشوقه، ورغبته، وتفانيه....

إنَّها ذروة الطَّاعة، وقمّة الامتثال، وكمال الخضوع، فقد شاء الله -تعالى-أن يرى الإمام الحسين-عليه السلام- قتيل الحب الإلهي بعد أن ضرب لنا صورة تقريبية لامتثال النَّبي إسماعيل لأبيه إبراهيم الخليل-عليهما السلام- وهو يقول له افعل ما تؤمَر، فكيف بالحسين-عليه السلام-؟!

وهذا هو سرُّ ورود عبارات (ثأر الله) و (قتيل الله) وغيرها مما فيها نسبة صريحة إلى الله -تعالى-.

وهكذا صار الإمام الحسين -عليه السلام- خازناً لكلِّ معنى الكتاب، ففيه معنى النّبوّة العظيم، وعظمة طاقتها الخارقة، وعلو منزلتها من الله -تبارك وتعالى-، وفيه طاقة الكتاب التّكويني الذي يشمل الوجود الإمكاني كلَّه، بالإضافة إلى أنَّه القيم على القرآن الكريم، وطريق إلى كلِّ هذه المعاني، وهذا بدوره ينتج لنا حقيقة مفادها أنَّ الإمام الحسين-عليه السلام-خازن لأبهى، وأكمل، وأجمل، وأعظم معاني التَّوحيد إذ كلُّ شيء في الكتاب الإلهي ناطق بتوحيد الله -تعالى-.

لهذا صارت شخصية الإمام الحسين -عليه السلام- رمزاً للتَّوحيد، بل ومعبِّراً عن التَّوحيد الإلهي بكلِّ

(١) ينابيع المودة، ج١، ص٢٤.

(٢) بحار الأنوار، ج١٠١، ص١٥٢.

معانيه، وصار الدِّفاع عن الإمام الحسين-عليه السلام-، ونصرته، دفاعاً ونصرة للتوحيد؛ لأنَّه جسَّد التَّوحيد، وهذا هو السّر في زيارة الشُّهداء الأنصار بقوله: "السَّلام عليكم أيَّها الذَّابون عن توحيد الله" فهو هيكل التَّوحيد، ومعناه، وركنه.

وبهذا ينكشف سر آخر لمثل عبارة الصَّادق -عليه السلام- في زيارة جدّه الإمام الحسين-عليه السلام-: "عبدك، وابن أمّتك، الذليل بين يديك، المقصِّر في علو قدرك) إذ مهما وصفنا، وتحدَّثنا، وكتبنا عن الإمام الحسين -عليه السلام- فنحن مقصرون أبداً، وهذا يستلزم منَّا التَّسليم والخضوع للإمام -عليه السلام- دائماً كما جاء في زيارته: «ورأيي، وهواي على التَّسليم لخلف النبي -صلى الله عليه وآله- جئت انقطاعاً إليك ... فقلبي مسلماً)[1]

وسر هذا التّسليم هو أنّ الحسين -عليه السلام- ملك الوجود، بل أنه مَلَكَ الوجود بإذن الله -تعالى-، وهذا الملك العظيم يجب أن تنحني أمامه كلُّ العوالم؛ لأنَّ ملوكيته من السّماء فهي ملوكية وحيوية كما أنَّه -تعالى- جعل طالوت ملكاً على جيش صغير أو أمَّة معدودة، وأمرهم بطاعته، والتَّسليم إليه.

(١) بحار الأنوار، ج١٠١، ص١٦٩

عن أبي عبد الله-عليه السلام- قال:

"من أتى قبر الحسين-عليه السلام- عارفاً بحقه، كتبه الله في أعلى عليين"

بحار الأنوار: ج٩٨/ ص٧٠ .

الإمام زين العابدين -عليه السلام- بين البعد الاجتماعي والنّهج العبادي

سليم عادل الحسناوي

كان للإمام زين العابدين -عليه السلام- دور هام في المجتمع الإسلامي الذي أُبتلي ببني أمية الذين لم يكن لهم همّ سوى الملذّات، والشَّهوات الشَّيطانية دون أن يفكّروا بهموم الرَّعيّة، ويسعوا لحلّ مشاكلهم.

بالطَّبع لا يمكن حصر دور الإمام -عليه السلام- في بعد خاص؛ لأنَّه كان المرجع للمجتمع في جميع أموره، وكان منها:

١ . كفالة المحتاجين:

تكفّل الإمام زين العابدين -عليه السلام- أيّام حياته العديد من الناس، فكان يؤمنهم ويقضي حوائجهم في العيش. فعن محمّد بن إسحاق أنّه كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم، فلمّا مات علي بن الحسين -عليه السلام- فقدوا ما كانوا يؤتون به بالليل[١].

وعن شيبة بن نعامة: أنَّ الإمام -عليه السلام- كان يقوت مائة أهل بيت، وقيل: كان في كلّ بيت جماعة من الناس[٢].

وقيل: إنّه -عليه السلام- كان يتصدّق بالسّكّر واللوز. فسُئل عن ذلك، فقرأ قوله تعالى: (لَنْ تَنَالُوا البِرَّ

(١) مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص١٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص١٥٣.

حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)[1]،[2].

وعن أبي جعفر –عليه السلام–: «إنّه –عليه السلام– كان يعول مائة بيت من فقراء المدينة، وكان يعجبه أن يحضر طعامه اليتامى والأضراء والزَّمنى والمساكين الذين لا حيلة لهم، وكان يناولهم بيده، ومن كان منهم له عيال حمل له إلى عياله من طعامه، وكان لا يأكل طعاماً حتّى يبدأ فيتصدّق به»[3].

ولما أخرج أهل المدينة عامل يزيد وبني أمية، كلّم مروان بن الحكم –المعروف ببغضه ومواقفه المعادية لأهل البيت –عليهم السلام– – ابن عمر في أن يغيّب أهله عنده فلم يفعل. فكلّم الإمام زين العابدين –عليه السلام–، فقال: إنّ لي حرماً وحرمي يكون مع حرمك.

فقال –عليه السلام–: «أفعل». فبعث بامرأته وحرمه إليه –عليه السلام–. فخرج بحرمه، وحرم مروان حتى وضعهم بينبع[4]، وقد تحوّلت داره –عليه السلام– أيّام إباحة المدينة ملجأً آمناً ضمَّ أربعمائة امرأة، وقد أولاهم الإمام –عليه السلام– عناية خاصّة حتى استتبت الأوضاع في المدينة.

فعن الزمخشري، قال: لمّا وجّه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة لاستباحة المدينة، ضمّ علي بن الحسين –عليه السلام– إلى نفسه أربعمائة منافية[5] بحشمهنَّ يعولهنَّ إلى أن تقوّض جيش مسلم. فقالت امرأة منهنَّ: ما عشت والله بين أبويّ بمثل هذا الشَّريف[6].

---

(١) سورة آل عمران، الآية:٩٢.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٨٩.

(٣) مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص١٥٤.

(٤) ينبع: حصن وقرية غناء على يمين رضوى لمن كان منحدراً من أهل المدينة إلى البحر على ليلة من رضوى، وهو لبني حسن بن علي بن أبي طالب، وفيها عيون عذاب. مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٣٨٥.

(٥) نسبة إلى عبد المناف جدّ الهاشميين.

(٦) ربيع الأبرار، ج١، ص١٠٩.

٢. صدقة السّرّ:

تضافرت الأخبار الشَّريفة عن أهل البيت -عليهم السلام- في فضل صدقة السرّ ومن ذلك:

عن عمّار الساباطي، قال: قال لي أبو عبد الله -عليه السلام-: «يا عمّار، الصَّدقة والله في السرّ أفضل من الصَّدقة في العلانية، وكذلك والله العبادة في السرّ أفضل منها في العلانية»(١).

وقال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: «صدقة السرّ تطفئ غضب الرّبّ تبارك وتعالى، فإذا تصدّق أحدكم بيمينه فليخفها عن شماله»(٢).

وعن أبي عبدالله -عليه السلام-، قال: «صدقة العلانية تدفع سبعين نوعاً من أنواع البلاء، وصدقة السرّ تطفئ غضب الربّ»(٣).

وعن أبي جعفر -عليه السلام-: «البِر والصدقة ينفيان الفقر، ويزيدان في العمر، ويدفعان تسعين ميتة السوء»(٤).

وكان الإمام زين العابدين -عليه السلام- كثيراً ما يتصدّق على المحتاجين بصدقة السر:

عن محمّد بن إسحاق: أنّه كان في المدينة كذا وكذا بيتاً يأتيهم رزقهم وما يحتاجون إليه لا يدرون من أين يأتيهم، فلمّا مات زين العابدين -عليه السلام- فقدوا ذلك، فصرخوا صرخة واحدة(٥).

وعن أبي جعفر -عليه السلام-: «أنّه -عليه السلام- كان يخرج في الليلة الظّلماء فيحمل الجراب على ظهره حتّى يأتي باباً فيقرعه ثمّ يناول من كان يخرج إليه وكان يغطّي وجهه إذا ناول فقيراً لئلاّ يعرفه»(٦).

وفي خبر أنّه -عليه السلام- كان إذا جنّ الليل وهدأت العيون قام إلى منزله فجمع ما يبقى فيه من قوت أهله، وجعله في جراب ورمى به على عاتقه، وخرج إلى دور الفقراء وهو متلثّم ويفرّق عليهم. وكثيراً ما كانوا

---

(١) الكافي، ج٤، ص٨.

(٢) دعائم الإسلام، ج٢، ص٣٣٠.

(٣) بحار الأنوار، ج٩٣، ص١٧٩.

(٤) الكافي، ج٤، ص٢.

(٥) مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص١٥٣.

(٦) المصدر نفسه، ج٤، ص١٥٣.

قياماً على أبوابهم ينتظرونه فإذا رأوه تباشروا به، وقالوا: جاء صاحب الجراب[1].

وعن سفيان بن عيينة: رأى الزهري علي بن الحسين -عليه السلام- في ليلة باردة مطيرة وعلى ظهره دقيق وحطب وهو يمشي. فقال له: يا ابن رسول الله ما هذا؟.

قال: «أُريد سفراً أعدّ له زاداً أحمله إلى موضع حريز».

فقال الزهري: فهذا غلامي يحمله عنك. فأبى -عليه السلام- فقال: فأحمله عنك فإنّي أرفعك عن حمله. فقال علي بن الحسين -عليه السلام-: «لكني لا أرفع نفسي عمّا ينجيني في سفري ويحسن ورودي على ما أراد عليه. سألتك بالله لما مضيت في حاجتك وتركتني»، فانصرف عنه. فلمّا كان بعد أيّام قال له: يا ابن رسول الله، لست أرى لذلك السفر الذي ذكرته أثراً؟. قال -عليه السلام-: «بلى ـ يا زهري ـ ليس ما ظننت ولكنّه الموت وله كنت أستعدّ»[2].

وعن الزهري: لمّا مات زين العابدين -عليه السلام- فغسلوه وجد على ظهره محل، فبلغني أنّه كان يستقي لضعفة جيرانه بالليل[3].

ولما مات علي بن الحسين -عليه السلام- وغسلوه، جعلوا ينظرون إلى آثار في ظهره. فقالوا: ما هذا؟!. قيل: كان يحمل جرب الدقيق على ظهره ليلاً ويوصلها إلى فقراء المدينة سراً[4].

وفي بعض الأخبار: أنّه -عليه السلام- لمّا وُضع على المغتسل نظروا إلى ظهره وعليه مثل ركب الإبل ممّا كان يحمل على ظهره إلى منازل الفقراء[5].

وقال أبو حمزة الثمالي: كان زين العابدين -عليه السلام- يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدّق به ويقول: إنّ صدقة السرّ تطفئ غضب الربّ[6].

(١) شرح الأخبار، ج٣، ص٢٥٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص١٥٣.

(٣) المصدر السابق، ج٤، ص١٥٤.

(٤) كشف الغمة، ج٢، ص٧٧.

(٥) الخصال، ج٢، ص٥١٧.

(٦) مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص١٥٣.

٣. تربية العبيد:

من الأُمور المهمّة التي قام بها الإمام زين العابدين -عليه السلام- هي: تربيته للعبيد وتحريرهم بعد مدّة من ذلك.

يقول السيد ابن طاووس -رحمه الله في (الإقبال): كان علي بن الحسين -عليه السلام- إذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبداً له ولا أمَة، وكان إذا أذنب العبد والأمَة يكتب عنده أذنب فلان أذنبت فلانة يوم كذا وكذا، ولم يعاقبه فيجتمع عليهم الأدب. حتى إذا كان آخر الليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله، ثم أظهر الكتاب، ثم قال: «يا فلان فعلت كذا وكذا ولم أؤدبك، أتذكر ذلك؟». فيقول: بلى يا بن رسول الله، حتى يأتي على آخرهم ويقررهم جميعاً. ثم يقوم وسطهم ويقول لهم: «ارفعوا أصواتكم وقولوا: يا علي بن الحسين إنّ ربك قد أحصى عليك كل ما عملت، كما أحصيت علينا كل ما عملنا... فاذكر يا علي بن الحسين ذل مقامك بين يدي ربّك الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال حبَّة من خردل، ويأتي بها يوم القيامة، وكفى بالله حسيباً وشهيداً، فاعف واصفح يعفو عنك المليك ويصفح، فإنَّه يقول: (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ)[1] ـ قال ـ وهو ينادي بذلك على نفسه ويلقنهم وهم ينادون معه، وهو واقف بينهم يبكي وينوح، ويقول: «رب إنَّك أمرتنا أن نعفو عمّن ظلمنا فقد ظلمنا أنفسنا... ـ ثم يقبل عليهم ويقول ـ قد عفوت عنكم فهل عفوتم عنّي وممّا كان منّي إليكم من سوء ملكة؟ فإنِّي مليك سوء لئيم ظالم، مملوك لمليك كريم جواد عادل محسن متفضّل». فيقولون: قد عفونا عنك يا سيدنا وما أسأت.

فيقول لهم: «قولوا: اللهم أعف عن علي بن الحسين كما عفى عنّا، وأعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرّق». فيقولون ذلك، فيقول: «اللهم آمين يا رب العالمين، اذهبوا فقد عفوت عنكم، وأعتقت رقابكم رجاء للعفو عنّي وعتق رقبتي فيعتقهم».

فإذا كان يوم الفطر أجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عمّا في أيدي الناس، وما من سنة إلاّ وكان يعتق فيها آخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين رأساً إلى أقل أو أكثر[2].

(١) سورة النور، الآية:٢٢.

(٢) إقبال الأعمال، ص٢٦٠-٢٦١.

النّهج العبادي

أمَّا النهج العبادي الذي خلَّفه الإمام زين العابدين -عليه السلام- خير نهج للارتباط بالله عزّ وجلّ، فإنَّه يتضمّن الأمور التالية:

أوَّلاً: الجدّ في العبادة:

الجد والنشاط في العبادة والتقرّب إلى الله -عزّ وجلّ- بالأعمال الصّالحة وعدم الاتّكال على الحسب أو النسب. فعن الصّادق -عليه السلام-، قال: «كان علي بن الحسين -عليه السلام- شديد الاجتهاد في العبادة، نهاره صائم وليله قائم، فأضر ذلك بجسمه. فقلت له: يا أبه كم هذا الدؤوب؟. فقال له -عليه السلام-: أتَحبّب إلى ربّي لعلّه يزلفني»[1].

وقال طاووس الفقيه: إنّه رأى الإمام زين العابدين -عليه السلام- يطوف من العشاء إلى السّحر ويتعبّد. فلمّا لم يرَ أحداً رمق إلى السَّماء بطرفه، وقال: «إلهي غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون أنامك، وهدأت أصوات عبادك، وغلقت الملوك أبوابها، وأبوابك مفتّحات للسائلين، جئتك لتغفر لي وترحمني وتريني وجه محمّد -صلى الله عليه وآله- في عرصات القيامة».

ثمّ بكى وقال: «وعزّتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاكّ، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرّض، ولكن سوّلت لي نفسي، وأعانني على ذلك سترك المرخى به عليَّ، فأنا الآن من عذابك من يستنقذني؟، وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عنّي. فوا سوأتاه غداً من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخفّين: جوزوا، وللمثقلين: حطّوا. أمعَ المخفّين أجوز، أم مع المثقلين أحط؟ ويلي كلّما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب، أما آن لي أن أستحي من ربّي».

ثمّ بكى وأنشأ يقول:

أ تحرقني بالنار يا غاية المنى ... فأين رجائي ثمّ أين محبّتي!

أتيت بأعمال قباح رديّة ... وما في الورى خلق جنى كجنايتي

(١) مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص١٥٥.

ثمّ بكى وقال: «سبحانك تُعصى كأنّك لا تَرى، وتحلم كأنّك لم تُعص، تتودّد إلى خلقك بحسن الصنيع كأنّ لك الحاجة إليهم، وأنت ياسيدي الغني عنهم»، ثمّ خرّ إلى الأرض ساجداً.

قال: فدنوت منه وشلت رأسه، فوضعته على ركبتي وبكيت حتى جرت دموعي على خدّه، فاستوى جالساً وقال: «من الذي أشغلني عن ذكر ربّي؟».

فقلت له: أنا طاووس يا ابن رسول الله ما هذا الجزع والفزع؟. نحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جافون؟. أبوك الحسين بن علي -عليه السلام- وأُمّك فاطمة الزهراء -عليها السلام- وجدّك رسول الله -صلى الله عليه وآله-!

قال: فالتفت إليَّ وقال: «هيهات هيهات ـ يا طاووس ـ دع عنّي حديث أبي وأُمّي وجدّي، خلق الله الجنّة لمن أطاع وأحسن ولو كان عبداً حبشيّاً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولداً قرشياً، أما سمعت قول الله تعالى: (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ)[1]، والله لا ينفعك غداً إلّا تقدمة تقدّمها من عمل صالح»[2].

ثانياً: عدم استكثار الأعمال:

كان الإمام السّجّاد -عليه السلام- يربّي الناس عملياً على عدم الغرور بالأعمال واستكثارها، لذا كان -عليه السلام- كثيراً ما يذكر عبادة أجداده الأطهار -عليهم السلام- ويستصغر عبادته أمامها، ويردّد قائلاً: «أين عبادتي عن عبادة جدّي رسول الله -صلى الله عليه وآله- أو عبادة جدّي أمير المؤمنين-عليه السلام-»، وفي الخبر:

إنّ فاطمة بنت علي بن أبي طالب -عليه السلام- أتت إلى جابر بن عبدالله، فقالت له: ياصاحب رسول الله إنّ لنا عليكم حقوقاً ومن حقّنا عليكم إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه، اجتهاداً أن تذكروه الله وتدعوه إلى البقيا على نفسه، وهذا علي بن الحسين -عليه السلام- بقيّة أبيه الحسين -عليه السلام- قد انخرم أنفه ونقبت جبهته وركبتاه وراحتاه أذاب نفسه في العبادة.

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٠١.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ج٤، ص١٥١.

فأتى جابر إلى بابه واستأذن، فلمّا دخل عليه وجده في محرابه قد أنصبته العبادة، فنهض علي -عليه السلام- فسأله عن حاله سؤالاً خفيّاً أجلسه بجنبه. ثمّ أقبل جابر يقول: يا ابن رسول الله، أما علمت أنّ الله خلق الجنّة لكم ولمن أحبّكم، وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم، فما هذا الجهد الذي كلّفته نفسك؟!.

فقال له علي بن الحسين -عليه السلام-: «يا صاحب رسول الله، أما علمت أنّ جدّي رسول الله -صلى الله عليه وآله- قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، فلم يدع الاجتهاد وتعبّد هو بأبي وأُمّي حتّى انتفخ الساق وورم القدم، وقيل له: أ تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟!. قال -صلى الله عليه وآله-: أفلا أكون عبداً شكوراً».

فلمّا نظر إليه جابر وليس يغني فيه قول قائل، قال: يا ابن رسول الله، البقيا على نفسك فإنّك من أُسرة بهم يستدفع البلاء، وتستكشف اللأواء، وبهم تستمسك السماء.

فقال -عليه السلام-: «يا جابر، لا أزال على منهاج أبوي مؤتسياً بهما حتّى ألقاهما». فأقبل جابر على من حضر، فقال لهم: ما رئي من أولاد الأنبياء -عليهم السلام- مثل علي بن الحسين -عليه السلام- إلاّ يوسف بن يعقوب، والله لذرّية علي بن الحسين أفضل من ذرّية يوسف[1].

وعن الإمام الصادق -عليه السلام- ، قال: «دخل أبو جعفر -عليه السلام- على أبيه -عليه السلام- فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد، وقد اصفرّ لونه من السهر، ورمضت عيناه من البكاء، ودبرت جبهته من السجود، وورمت قدماه من القيام في الصلاة.

قال -عليه السلام-: فقال أبو جعفر -عليه السلام-: فلم أملك حين رأيته بتلك الحال من البكاء فبكيت رحمة له، وإذا هو يفكّر فالتفت إليَّ بعد هنيهة من دخولي. فقال: يا بني، أعطني بعض تلك الصّحف التي فيها عبادة علي -عليه السلام-. فأعطيته، فقرأ فيها يسيراً ثمّ تركها من يده تضجراً: وقال: من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب -عليه السلام- [2].

---

(١) أمالي الطوسي، ص٦٣٦-٦٣٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب،ج٤، ص٩٤١.

ثالثاً: الشّعور بالتّقصير:

من صفات عباد الله أنّهم يشعرون بتقصيرهم أمام الله وعدم أداء حق الله -عزّوجلّ-.

يقول الزّهري: دخلت مع علي بن الحسين -عليه السلام- على عبد الملك بن مروان، قال: فاستعظم عبد الملك ما رأى من أثر السجود بين عيني علي بن الحسين -عليه السلام- ـ إلى أن قال ـ فقال علي بن الحسين -عليه السلام-: «كلّ ما ذكرته ووصفته من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيقه، فأين شكره على ما أنعم يا أمير؟. كان رسول الله -صلى الله عليه وآله- يقف في الصلاة حتّى تَرِم قدماه، ويظمأ في الصيام حتّى يعصب فوه. فقيل له: يارسول الله، أ لم يغفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟! فيقول -صلى الله عليه وآله- : أفلا أكون عبداً شكوراً؟.

الحمد لله على ما أولى وأبلى، وله الحمد في الآخرة والأُولى، والله لو تقطّعت أعضائي وسالت مقلتاي على صدري لن أقوم لله جلّ جلاله بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لا يحصيها العادون، ولا يبلغ حدّ نعمة منها على جميع حمد الحامدين.

لا والله أو يراني الله لا يشغلني شيء عن شكره وذكره في ليل ولا نهار ولا سرّ ولا علانية، ولولا أنَّ لأهلي عليّ حقّاً ولسائر الناس من خاصّهم وعامّهم عليَّ حقوقاً، لا يسعني إلاّ القيام بها حسب الوسع والطاقة حتّى أُؤدّيها إليهم، لرميت بطرفي إلى السماء وبقلبي إلى الله ثمّ لم أرددهما حتّى يقضي الله على نفسي وهو خير الحاكمين». وبكى وبكى عبد الملك[1].

(١) مستدرك الوسائل، ج١، ص١٢٥-١٢٦.

قال الإمام الباقر عليه السلام:

"إنَّ أبي علي بن الحسين (عليه السلام) ما ذكر نعمة الله عليه إلّا سجد، ولا قرأ آية من كتاب الله تعالى فيها سجود إلّا سجد، ولا دفع الله عزوجل عنه سوء يخشاه أو كيد كايد إلّا سجد، ولا فرغ من صلاة مفروضة إلّا سجد، ولا وفق لإصلاح بين اثنين إلّا سجد، وكان أثر السّجود في جميع مواضع سجوده فسمي السَّجاد لذلك"

بحار الأنوار/ ج٨٣/ ص ٢٠١.

العباس -عليه السلام- المجاهد الشّهيد

السيد أحمد الميالي

عن المفضّل بن عمر أنّه قال: " قال الصّادق جعفر بن محمّد -عليهما السلام-: " كان عمّنا العبّاس بن علي نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبدالله وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً"(١).

وكذلك قوله -عليه السلام- فيما علّم شيعته أن يخاطبوه به من لفظ الزّيارة، المروية بسند صحيح متّفق عليه، في صدر سلام الإذن:

" سلام الله وسلام ملائكته المقرّبين، وأنبيائه المرسلين، وعباده الصالحين، وجميع الشّهداء والصدّيقين، الزاكيات الطيّبات، فيما تغتدي وتروح عليك يا بن أمير المؤمنين ".

فإنّه أشار بهذا إلى مصبّ سلام الله الذي هو رحمته المتواصلة، والعطف غير المحدود الذين لا انقطاع لهما.

وسلام الملائكة المشاهدين لمقادير الرجال في ملأ القدس وحظيرة الجلال.

وسلام الأنبياء الذين لا يعدون مرضات الله ووحيه في أفعالهم وتروكهم.

وسلام الصّالحين والشّهداء الذين أدركوا بفضل الاتصال بالرسل وأوصيائهم أو بالتّجرّد ومشاهدة الحقائق الثابتة في عالم الغيوب، زيادة على ما عرفوه من مقام أبي الفضل وفضله.

فكُلّ هؤلاء يتقرّبون إلى الله -تعالى- بالدّعاء له، واستنزال الرَّحمة منه -سبحانه-، وإهداء التَّسليمات إليه، لمّا عرفوا أنّه من أقرب الوسائل إليه، وحيث كانت خالصة للزلفة، ماحضة في التقرّب إليه جلّ ذكره، عادت زاكية طيّبة بنصّ الزيارة: "الزاكيات الطيّبات".

وأمّا على رواية ابن قولويه في كامل الزيارة من زيادة (واو العطف) قبل الزاكيات الطيّبات، فيراد بهما

(١) عمدة الطالب لابن عنبة: ٣٥٦، مقتل الحسين لأبي مخنف: ١٧٦. الأنوار العلوية للنقدي: ٤٤٢.

العنايات الخاصّة التي ليست بدعاء من أحد، ولا بأسباب عادية، ولا يعدم هذه الأنبياء والأوصياء والأقلّون ممّن اقتفوا أثرهم، وليست هي شرعة لكُلّ وارد، وإنّما يحظى بها الأفذاذ ممّن كهربتهم القداسة الإلهيّة، وجذبتهم جاذبة الصقع الرّبوبي، وهكذا المقرّبون والأفذاذ عند صعودهم.

وإذا قرأنا زيارة الإمام الصّادق -عليه السلام- لجدّه الإمام الحسين-عليه السلام-: « سلام الله وسلام ملائكته فيما تروح وتغدو، والزاكيات الطاهرات لك وعليك، سلام الملائكة المقرّبين والمسلمين لك بقلوبهم والناطقين بفضلك..."[1] وضح لنا أنّ منزلة أبي الفضل تضاهي منزلة الحسين، حيث أثبت له مثل هذا السلام.

ثُمّ قال -عليه السلام-: « أشهد لك بالتسليم والتّصديق والوفاء والنّصيحة لخلف النّبي المرسل »[2].

ها هنا أثبت لأبي الفضل-عليه السلام- منزلة التّسليم التي هي من أقدس منازل السّالكين، وفوق مرتبة الرضا والتّوكّل، فإنّ أقصى مرتبة الرضا أن يكون محبوب المولى -سبحانه- محبوباً له، موافقاً لطبعه، فالطبع ملحوظ فيه.

وأقصى مراتب التّوكّل أن ينزل نفسه بين يدي المولى -سبحانه وتعالى- منزلة الميت بين يدي الغاسل، بحيث لا إرادة له إلاّ ما يفعله الغاسل به، فصاحب التّوكّل مسلوب الإرادة، وأمّا صاحب التّسليم فلا يرى لغير الله وجوداً مع الله-تعالى-، فضلاً عن نفسه، ولا يكون له طبع يوافق أو يخالف في الإرادة، أو نفساً قد تنفّست بالإرادة، فهو قريب من عالم الفناء.

وهذه المرتبة فوق مرتبة التّوكّل التي هي فوق مرتبة الرضا لا تحصل إلاّ بالبصيرة النافذة، والوصول إلى أعلى مراتب اليقين، تلك المرتبة التي أخبر عنها الإمام أمير المؤمنين -عليه السلام-: "لو كُشِف الغطاء ما ازددت يقيناً ".

أمّا العناوين الثلاثة وهي: " التّصديق، والوفاء، والنّصيحة " فلا شكّ أنّ الإمام-عليه السلام- يبيِّن أنَّ أبا الفضل في أرقى مراتبها، لانبعاثها عن التَّسليم، وهو حقّ اليقين، فإنّه المناسب لتصديقه بأخيه الحجّة، وبنهضته في ذلك الموقف الحرج، وهكذا وفاؤه ونصيحته، فإنّ وفاء شخص لآخر كما يمكن أن يكون لأجل الأُخوة

(١) كامل الزيارات: ٣٥٨، بحار الأنوار ٩٨: ١٤٨.

(٢) المصدر نفسه: ٤٤٠.

والرّحم والصّحبة ويمكن أن يكون لأجل المعرفة التامّة، بما أوجب الله-تعالى- له من الحرمة والحقّ على الأُمة.

وحيث إنّ الإمام-عليه السلام- أثبت لأبي الفضل-عليه السلام- أرقى مرتبة السّالكين، وهي التّسليم اللازم لحقّ اليقين، فلا بدّ أن يكون ما صدر منه من التّصديق بنهضة أخيه والوفاء لحقّه والمناصحة في العمل، منبعثاً عن حقّ اليقين بذلك الأمر الواجب، لا لأجل أنّ الحسين أخوه أو رحمه أو ابن رسول الله، فإنّ هذه المرتبة وإن مُدح عليها الشَّخص إلاّ أنّ المرتبة الأُولى أرقى وأرفع، ولا ينالها إلاّ ذوو النفوس القدسيّة ممّن وجبت لهم العصمة.

ويؤيّد ذلك تعقيب العناوين الثلاثة بقوله -عليه السلام-: " لخلف النّبي المرسل "، فإنّه لو لم يرد هذا لقال في الخطاب: (لأخيك) أو (للحسين) أو (لابن أمير المؤمنين)، فالتّعبير بخلف النّبي لا يُراد منه إلاّ أنّ الدَّافع لأبي الفضل على التَّسليم والتَّصديق والوفاء والنَّصيحة إلاّ كون الحسين-عليه السلام- إماماً مفروض الطّاعة، وهذا مغزى لا يبعث إليه إلاّ البصيرة المميّزة لشرف الغايات المتحرّية لكرائمها.

ثُمّ إنّ من تخصيص الخطاب له دون غيره من الشّهداء بقوله: " لعن اللهّ من جهل حقّك واستخفّ بحرمتك " نعرف أنّ غيره من الشّهداء لم يُدرك هذا المدى، وإن كان لكُلّ منهم حقّاً وحرمة، إلاّ أنّ شبل أمير المؤمنين -عليه السلام-كانت معارفه أوسع، وإيمانه أثبت، فكان له حقّ في الدِّين، وحقّ على الأُمة لا ينكر، فاستحقّ بكُلّ منهما اللعن على جاهله والمستخف به، فالشهداء وإن أخلصوا في التضحية والفداء، وكان منبعثاً عن طهارة الضمائر والمعرفة بحقّ الإمام-عليه السلام-، فلهم حقوق وحرمات، لكن لحق العبّاس-عليه السلام- منعة بين هاتيك الحقوق.

ثُمّ قال الصادق -عليه السلام- في الزيارة المتلوّة داخل الحرم: " أَشهد وأُشهد اللهّ أنّك مضيت على ما مضى به البدريّون "[1].

لقد جرى التشبيه بالبدريّين مجرى التقريب إلى الأذهان، في الإشادة بموقف أبي الفضل -عليه السلام-من البصيرة، فإنّ أهل بدر أظهر أفراد أهل البصائر؛ لأنّهم قابلوا طواغيت قريش على حين ضعف في المسلمين،

(١) المزار للشيخ المفيد: ١٢٢.

وقلّة في العدّة والعتاد، فلم يملكوا إلاّ فرسين أحدهما: لمرثد بن أبي مرثد الغنوي، والآخر: للمقداد بن الأسود الكندي، وكانوا يتعاقبون على سبعين بعير، الاثنان والثّلاثة.

لكنّهم خاضوا غمرات الموت تحت راية النبوّة، بقوّة الإيمان، وعتاد البصيرة، إلاّ من استولى الرين على قلبه، فردّوا سيوف قريش مفلولة، ورماحهم محطّمة، وجموعهم بين قتلى وأسرى ومشرّدين، فحظوا بأوّل فتح إسلامي، قويت به دعائمه وشيّدت معالمه من الإمداد {بِخَمْسَةِ آلاف مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ}[1].

وأعظم من ذلك مشهد الطفّ الذي التطمت فيه أمواج الموت، وكشفت الحرب عن ساقها، وكشفت عن نابها.

وللأخطَـــــارِ وَجهٌ مُكفَهِـــر يُشيبُ هَولِه المُردِي الغُلاّمِ
تَرى الأبطَال مِن فَرِق سُكَارَى يُدَارُ مِن الرَدَى فِيهم مُدَام

فقابلهم عصبة الحقّ من غير مدد يأملونه، أو نصرة يرقبونها، والعطش معتلج بصدورهم، ونشيج الفواطم من ورائهم، فتلقّوا جبال الحديد بكُلِّ صدر رحيب، وجنان طامن، فلم تسل تلك النّفوس الطاهرة إلاّ على قتل أُميّة المنقوض، ولا أُريقت دماؤهم الزّاكية إلاّ على حبلهم المنتكث، فلم تبرح آل حرب إلاّ كلعقة الكلب أنفه، حتّى اكتسحت معرتهم من أديم الأرض، وتفرّقوا أيدي سبا، فيوم الطفّ فتح إسلامي بعد الجاهلية المستردة من جراء أعمال الأمويين[2].

وإليه أشار الإمام الشّهيد في كتابه إلى بني هاشم لمّا حلّ أرض كربلاء: "من لحق بي منكم استشهد، ومن تخلّف عنّي لم يبلغ الفتح"[3].

فإنّه -عليه السلام- لم يرد بالفتح إلّا ما ترتّب على نهضته المقدّسة وتضحيته الكريمة، من نقض دعائم

---

(١) آل عمران: ١٢٥، قال تعالى: (بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلاف مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ).

(٢) لقد أجاد العلاّمة السيّد باقر نجل آية الله السيّد محمّد الهندي (رحمه الله) إذ يقول:

لَو لَم تَكُن جمعت كُلّ العلا فينا لكَانَ مَا كَانَ يَومَ الطّف يَكفينَا
يَومٌ نَهضنَا كأمثال الأُسود بِهِ وأَقبلَت كالدِّبا زَحفاً أَعادينَا
جَاؤُوا بسبعين أَلفاً سُلّ بقيتَهم هَل قَابلوَنا وَقد جِئنَا بسبعِنَا

(٣) بصائر الدرجات للصفّار: ٥٠٢.

الإلحاد، وكسح أشواك الباطل عن صراط الشّريعة المطهّرة، وإحياء دين جدّه الصّادح به، الذي لاقى المتاعب في تأييده وتشييده.

وأنت أيّها البصير إذا استشففت الحادثة من وراء نظارة في التنقيب تجد سيّدنا أبا الفضل -عليه السلام- سيّد القوم بعد أخيه السبط-عليه السلام-، وهو المسدّد لهم في النّضال.

كما أنّ الباحث إذا أعطى النظر حقّه يجد ضحايا (الطفّ) أشدّ انقطاعاً عن المدّد من مجاهدي يوم بدر، وأبلغ بأساً، وأقلّ عدداً، مع اكتناف الكوارث بهم، واعواز الملجأ أكثر ممّا احتفّ بأهل بدر.

مع أنّ المناوئين لشهداء (الطفّ) أوفر عدداً، وأقوى عتاداً، وأوثق مدداً. وإنّ لهم دولة مؤسسة، تنضّدت جحافلها، وخفقت بنودها، وتواصلت قواتها بخلاف الحالة يوم بدر.

فلقد كان المحاربون للمسلمين شتات، من طواغيت العرب، حداهم إلى الحرب بواعث الحقد والنخوة، ومن المحتمل القريب انحلال جامعتهم إذا ضربت الحرب عليهم بجرانها لأنّهم كانوا يفقدون أيّ مدد من القبائل، ولم يخرجوا متأهّبين للاستمداد، حيث ظنّوا خوراً في المسلمين، وحسبوا استئصال شأفتهم وأنّهم كشربة ماء (ولكن لا مبدّل لحكم الله).

فالموقف يوم الطّفّ أحرج، والكرب أكثر، والمقاسات أصعب، وبقدر المشقّة تجري الأُجور، وتقسم الفضائل، فشهداء كربلاء أولى بالفضيلة.

وضَرب الإمام -عليه السلام- المثل لهم بأهل بدر إذ يقول: « إنّك مضيت على ما مضى به البدريون » لا يوجب فضيلة أهل بدر عليهم، كما هي قاعدة التّشبيه، وإنّما ذلك من باب التقريب إلى الأفهام، كما في قوله -تعالى-: { مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ... }[1].

وأين من النّور الإلهي المشكاة ومصباحها، ولكن لمّا لم تدرك الأبصار ذلك النور الأقدس، وإنّما تُدركه البصائر، ضرب الله تعالى المثل بما يدركونه ; تقريباً للأذهان، وهكذا الحال فيما نحن فيه.

وإلى هذه الدقيقة وقع الإيعاز منه -عليه السلام- فيما بعد هذه الفقرة من الزيارة بقوله -عليه السلام-: « فجزاك اللهّ أفضل الجزاء، وأكثر الجزاء، وأوفر الجزاء، وأوفى جزاء أحد ممّن وفى ببيعته، واستجاب له دعوته،

(١)سورة النور: ٣٥.

وأطاع ولاة أمره «[1].

فلو كان في المجاهدين من هو أوفر فضلاً من أبي الفضل العبّاس -عليه السلام-لكان هذا الدعاء، أو الإخبار عن أمره شططاً من القول، خارجاً عن ميزان العدل، تعالى عنه كلام المعصوم، فإذن لم يكن غيره من المجاهدين مطلقاً أوفر فضلاً، ولا أكثر جزاءً، ولا أوفى بيعة إلاّ من أخرجه الدّليل من الأئمة المعصومين-عليهم السلام-.

ثُمّ إنّ هناك مرتبة أُخرى ثبتت لأبي الفضل، خصّه بها الإمام الصادق-عليه السلام- بقوله: " أشهد أنّك قد بالغت في النّصيحة، وأعطيت غاية المجهود، فبعثك الله -تعالى- في الشّهداء، وجعل روحك مع أرواح السّعداء، وأعطاك من جنانه أفسحها منزلاً، وأفضلها غرفاً "[2].

فإنّ المبالغة في أمثال المقام عبارة عن بلوغ الأمر إلى حدوده اللازمة، وكم له من نظير في استعمالات العرب ومحاوراتهم. ولا شكّ أنّ كُلّ واحد من شهداء الطفّ قد بالغ في النّصيحة، ولم يألُ جهداً في أداء ما وجب عليه، ولكُلٍّ منهم في ذلك المشهد الدامي شواهد من أقواله وأعماله.

ومن المسلّم أنّ المعروف بقدر المعرفة كمّاً وكيفاً، فصاحب السنام الأرفع في العرفان المتربّع على أعلى منصّة من الإيمان لا بدّ وأن يقاسي أشدّ ضروب الجهاد، ويتظاهر بأجمل مظاهرها، من الدؤوب على الحرب والضرب، وإن طال المدى، وبعد الأمد، إن كان الجهاد نضالاً، كما لا بدَّ له من المثابرة على مكافحة النفس الأمّارة، وكسر شوكتها، وردّ صولتها، وكبح جماحها، وترويض النّفس بالطّاعة، وإلزامها بلوازمها الشّاقة طيلة حياته، إن كان الجهاد نفسياً.

وفي هذين الحالتين لا بدّ وأن يكتنف العمل المقارنات المطلوبة، مثل: نيّة القربّة، والإخلاص فيها، المنبعث عن حبِّ المولى سبحانه، الهادي إلى معرفة تؤهّله إلى الطاعة، وعن معرفة نعم الباري -عزّ وجلّ- الواجب شكرها، وعن الهيبة النّاشئة عن لحاظ عظمته، إلى أمثال هذه من الملحوظات.

وقصارى القول: كما أنّ مراتب الإيمان والمعرفة متفاوتة مقولة بالتّشكيك، كذلك مراتب العمل متفاوتة

(١) كامل الزيارات: ٤٤١.

(٢) المصدر نفسه: ٤٤١..

حسب تفاوت تلك المراتب، فصاحب عمل كُلِّ مرتبة محدود بحدودها.

وحينئذ فلا شكّ أنّ كُلّ واحد من شهداء الطفّ، وإن بلغ الغاية في الجهاد، وأدّى حقّ النّصيحة، لكن (شهيد العلقمي) لمّا كانت بصيرته أنفذ، وعلمه أوفر، وإيمانه أثبت، كان مداه أبعد، وغايته أسمى، وحدوده أوسع، ولذلك خاطبه الإمام الصادق -عليه السلام- بهذا الخطاب، وخصّه بالمبالغة في التّضحية، فكان هذا كفضيلة مخصوصة به ; لأنّ هاتيك المراتب الراقية لم توجد في غيره.

ولعلّ من ناحية هذه المراتب الثلاث ثبت له -عليه السلام- حقّ في الدين، وحقّ على الأُمة، وحرمة لا تنكر، فاستحقّ أن يخاطبه الإمام في سلام الإذن بقوله: " لعن الله من جهل حقّك واستخفّ بحرمتك "[1].

وهناك درجة أربى وأربع أشار إليها الإمام الصادق-عليه السلام- بقوله: " ورفع ذكرك في علّيين "[2].

فإنّ "حامي الشريعة" لم يبرح مواصلاً في الخدمات، حتّى أقبل إلى الله -تعالى- متلفّعاً بدم الشّهادة، شهادة صكّ نبؤها مسامع الملكوت، حتّى أشرأب له هنالك من أنبياء، ومرسلين، وحجج معصومين، وملائكة مقرّبين، وحور، وولدان، وأرواح مقدّسة، ومقدّسات زاكيات طيّبات، فلم يلقَ -عليه السلام- في صعوده إليهم إلاّ ثغوراً باسمه، ووجوهاً مستبشرة، وايذاناً له بالبشرى الخالدة، ونعيم الأبد، فطفق يرف بين ذلك الجيل القدسي، الزاهر بنور العصمة، ورونق العلم، وهيبة العظمة، وسمات الجلالة، وشارات النّزاهة، وبهجة العطف الإلهي، وبهاء النظر إلى الجلال السرمدي، والاتصال بالرضوان الأكبر، وعليه أُبهة الولاء، وجلالة الطاعة، وبلج التّضحية، وزلفى المفادات، وزهو العلم والعمل، ولذكره في ذلك المنتدى الرهيب رفعة ومنعة، وإليه يشير الإمام الصادق -عليه السلام- في لفظ الزيارة: " ورفع ذكرك في علّيين".

فإنّ الغرض من هذا التعبير ليس إلاّ ما شرحناه، لا مجرّد صعود ذكره الطّيّب إلى ذلك الملأ الأرفع، شأن كُلِّ صالح في عالم الوجود، لكن الشأن كُلّه أن يكون لذكر ما لمجيد هنالك بذخ، واكبار فيرمقه كُلّ طرف بنظر الإجلال، ويسمع الهتاف به بإذن التقدير، وتنعقد الضمائر على تقديسه، ولو أراد الإمام مجرّد ذكره إلى ذلك العالم القدسي لقال في الخطاب: " ورفع ذكرك إلى عليين"، ولكن حيث إنّه أراد رفع الذكر بين أفراد أُولئك الذين

(١) المزار للشهيد الأوّل: ١٦٥.

(٢) بحار الأنوار: ٩٨: ٢١٩.

أختصّ محلّهم فيه جاء بـ"في" الظرفية فقال: " في علّيين".

وأما قوله -عليه السلام- في الزيارة التي رواها المجلسي في مزار البحار ص١٦٥ عن مزار الشيخ المفيد وابن المشهدي: " لعن الله أُمة استحلّت منّك المحارم، وانتهكت فيك حُرمة الإسلام "[1] ؛ فيرشدنا إلى مكانة سامية لأبي الفضل-عليه السلام-، تصعد به إلى فوق مرتبة العصمة، فإنّا لم نجد مثل هذا الخطاب في أي واحد من الشّهداء، مع بلوغهم أعلى مرتبة الفضل التي لم ينلها أي شهيد غيرهم.

بل لم يخاطب بمثل ذلك علياً الأكبر-عليه السلام- الذي لا شكّ في عصمته، ومنه يظهر أنّ للعبّاس -عليه السلام-منزلة ومقاماً يشارف مقام الحجج المعصومين -عليهم السلام-، تناط به حرمة الإسلام، كما تناط بهم -صلوات اللهّ عليهم-، وإنّها تنتهك بمثله كما تنتهك بمثلهم -عليهم السلام-، وهذا مقام فوق العصمة المرجوّة له.

(١) بحار الأنوار: ٩٨: ٣٣٠.

علي الأكبر -عليه السلام- شخصية فذة وحياة مفعمة بالعظمة

الشيخ عقيل البصري

عليّ وما أدراك ما علي، علمٌ من الأعلام، وعظيم من عظماء الشبيبة الهاشمية الذين جسّدوا إرادة الإسلام وتضحياته، وواحد من كواكب كربلاء، سطع في أفق الطَّف فوق بطحاء كربلاء مؤمناً بمبادئ سيّد الشّهداء -عليه السلام- .

لقد أنجبت عائلة حامل رسالة السّماء قائد حركة الانعتاق، رافع مشعل النّور -صلّى الله عليه وآله-، نخبة ممّن شكّلوا امتداداً لخطِّهِ النّبوي ونهجه المحمّدي الخلاق، نماذج من الشبان المجاهدين والمضحّين، رجالاً من أخطر ما شهدتهم عهود الملوك وأدوار الحاكمين وحقب التاريخ.

لقد رفض الإسلام أيّة مفاضلة أمميّة أو قبلية، وأية مبادرة حتى للتصنيفات الفرديّة، بمعزل عن المعيار الذي قدّره القرآن والمقياس الذي أعلنه، كركيزة لا حياد عنها عند المفاضلة والتّصنيف، إنّها ركيزة التّقوى.

ولو أقيم مشروع منصف للتفاضل وعلى مستوى النّسب بين فروع العجم وقبائل العرب، لما فاز به غير الهاشميين. إذ لم يكن اعتباطاً أو جزافاً خروج صفوة العرب وأعيان الأُمّة الإسلاميّة وأعلامها منهم، وعلى رأسهم يقف زعيم هاشم وعميد العروبة، سيّد الأُمّة والإنسانيّة محمد رسول الله -صلى الله عليه وآله-.

اختاره الله -تبارك وتعالى-، من الشّجرة الهاشميّة بالذات؛ لأنّها أقوى عوداً وأعمق جذوراً وأكرم شرفاً وأمعن أصالة .. وما كانت إرادة السّماء لتفرط بعملها وبعثة نبيّها من موقع وضيع ونسب بسيط قليل الشّأن بمضمونه وطهارته، أو بشرفه عند الناس وسمعته وعلو منزلته، حتى إذا ما أعلن النبي دعوته مثلاً للقبائل والبشر قابلوه بمؤاخذات على أصالته نسباً حيث أصله الرديء، أو سيرتِهِ حيث وصمات ماضيه..

ولقد انحدر علي الأكبر -عليه السلام-، من أعلى الشّجرة الطّيّبة، من فوق شموخها الأشم، كواحدٍ ممن

خضع للترشيح الإلهي، والانتخابات وفق إرادة ليس لها معارض، إنّه جاء إلينا عضواً نزيهاً عاملاً ضمن مجموعة جند الرحمان، من خلال مروره (بالاصطفاء) حسبما يصطلح القرآن الكريم..

ولا مراء فيما تلعبه الوراثة من دور فعّال في تكوين الشَّخصية، فضلاً عمّا يلعبه البيت بتربوياته السليمة السّامية من أدوار في البناء الشَّخصي، حتى ليتجلّى كل من معالم الوراثة ومعالم التَّربية على شخصيته في سيرته من خلال نشاطاته وفعالياته الرّسالية.

نشأته وترعرعه:

ولد -عليه السلام- في بيت يتمتّع بالحضور الكامل للإيمان والتّقوى، بيت رحب الفكر واسع المعرفة مزدحم بالصالحين والطاهرين والذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، الذين لا يفتؤون يحرصون على صيانة مبادئ رسالتهم، ويتمسّكون بحرفيّتها، ويرفعون ألوية العقيدة عالياً.. بيت هو العقيدة بذاتها، الأمر الذي يفسر دعوة الله-تعالى- للناس كي يحبّوا ذلك البيت ويودوه، ويحاربوا من يكرهه ويعادوه.. بيت عامر بكل ما يمت للإسلام بصلة وللحق والحقائق بروابط وعلائق.

ومن شأن الوليد الذي يفتح عينه في أجواء الصفاء لبيت الصّفوة، وأوساط الشّرف والسّؤدد، وبيئة الخير والصلاح والهدى، من شأنه أن ينشأ على إفاضات ذلك البيت النبيل، وقبسات أهل ذلك البيت من الرجال الذين أنيطت بهم حراسة القضية الإسلامية، وصيانة الشّرع الشّريف، وحفظ الدّين المحمّدي الحنيف.

نشأ وهو يرتشف لبن صدور المؤمنات التّقيّات، وراح جسده ينمو وتنمو مشاعرهُ السليمة وروحه الطاهرة، ونفسه السّوية، أكل وشرب مما أنعم الله-تعالى- به حلالاً طيّباً لا يأتيه الباطل والشّبهة .. نشأ على أسمى معاني المؤمنين الأتقياء، ومزاحهم الجميل معه.

فمادّته ومعنوياته من فيض حوض طاهر نقي، بمعنى أنَّ جسده وروحه تنزها عن الشّوائب المكدرة والأدران المقيتة.

ترعرع علي الأكبر في تلك الأوساط النَّظيفة، حيث قضى سني حياة صباه يدرج بين صفوة الرّجال وصفوة النساء، وخيرة الفتيان والصبيان، بين شخصيات جليلة القدر وشباب يسمون نحو الكمال والعز والإباء.

نشأ وهو ملؤ العين، فتخطّى الزّمن وتجاوز الأيّام، مضى يقضي أيّاماً زاهرة وليالي مباركة، وأشهراً وسنيناً خالدات، متسلّقاً الدهر، يعلو فوق هامة التاريخ شخصاً فريداً في مجمل خصوصياته، وشابّاً خلاّقاً في ربيع حياته، فرجلاً بطلاً ينفرد بمميزات جمة وجليلة سامية.. إذ نال من التّربية ما يصعب على الكثيرين حصوله ونيله، حتى أبناء الملوك والأمراء، أبناء الأكاسرة، والقياصرة، وما هو وجه الشَّبه حتى نذكر ونمثل بأبناء الملوك؟!

أوصافه الجميلة:

تمتّع آل الرسول -صلى الله عليه وآله- بأوصاف جميلة وصفات جليلة، أوصاف ظاهرة على شخصياتهم للعيان وصفات كامنة تتجلّى منهم عند التعرف إليهم ومعايشتهم كما لاحظها وعاشها المعاصرون لهم.

تمتّعوا بتجميع الكمالات لديهم دون استثناء أو افتقار لشيء صغير أو كبير.. تمتّعوا بتجمع كبريات المواصفات وحسنيات الصفات النبيلة الساميات، فلم يتركوا جميلاً جليلاً إلا ولهم فيه خصوصية، وما من قبيح حقير إلا ولهم في النّهي عنه وحربه ممارسات وظيفية..

ذلك لأنَّ تمتعهم بما ذكرنا هو من أخصّ خصوصياتهم، التي أهّلتهم للرسالة، بل هو من أهم اختصاصاتهم ـ بتعبير أدق ـ، إذ أنّهم ينبغي أن يكونوا في مستوى ما يدعون إليه، وليس من المعقول أن يكونوا روّاداً لنظريات ومبادئ، وهم بعيدون عنها أو يفتقرون لمؤهلاتها ومتطلّباتها سواء أثناء الدّعوة أو خلال التّطبيق لما لديهم من مقرّرات، فالنظرية والتّطبيق مما لا يمكن فصلهما قط.. وبذلك فإنّ اختصاصهم الفعّال هو كونهم المثل الأعلى، والقدوة الحسنى..

ولو قمنا باستقصاء النّظر في مميّزاتهم، واستقرأنا مواصفاتهم وأخص خصوصيات شخصياتهم، لما عدونا علي الأكبر عنهم فيما كانوا عليه ممّا لم يشاركهم أحد فيه .. بل هو في ذروة المميّزات وله الحظ الأكبر والقسط الأوفر منها، بحكم أنّه شبيه جده النبي -صلى الله عليه وآله- الذي حاز قصب السّبق إذ كان الأوّل كما كان المنبع والمصدر -صلى الله عليه وآله-.

شبيه الرّسول-صلى الله عليه وآله-:

وما قولنا بأنّه شبيه جدّه رسول الله -صلى الله عليه وآله- مأخوذ من راوٍ أو مؤرّخ أو شاهد عيان بسيط ومعاصر عادي، وإنَّما هو مأخوذ عن شاهد دقيق النّظر، صادق صدوق، فقد صرّح بذلك والده الإمام الحسين -عليه السلام-، وعنه روى الرّاوي وأرّخ المؤرّخ. سيما وأنَّ الإمام-عليه السلام- أعرف الناس برسول الله-

صلى الله عليه وآله-، وأكثرهم التصاقاً به وأشدّهم تعلّقاً به كما أنَّه ورث منه واكتسب عنه، فلمّا ولد نجله علي الأكبر-عليه السلام- وشبّ يافعاً، فقد أخذ يوحي بصورته وأخلاقه ومنطقه إلى الرسول الأكرم محمد -صلى الله عليه وآله-، فأضحى ذكراه وتذكاره حتى كان الناس ـ من أهل المدينة ـ يشتاقون لرؤياه، سلام الله عليه .. ثم ليس أكثر من أبيه الإمام الحسين-عليه السلام- حضوراً لملامح جدّه ومعالم تلك الشّخصية العظيمة.. وعليه فإنّ كلامه ـ والذي سنسجل نصّه في القسم الثاني بمكانه المناسب ـ الذي يؤكّد محاكاة علي-عليه السلام- للنبي- صلى الله عليه وآله- وأنّه أشبه الناس به خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً، كلام بمستوى الحضور الحقيقي.

وكان علي الأكبر-عليه السلام- من أصبح الناس وجهاً، وأحسنهم خلقاً حسبما اتفق المؤرّخون فضلاً عن اتفاقهم وإجماعهم على مضمون تصريح أبيه الإمام الحسين-عليه السلام- من كونه مثيل الرسول-صلى الله عليه وآله- من حيث الخلقة، والأخلاق، والنّطق.

وحري بنا أن نعود لتسجيل بعض ما ورد عن النّبي الأعظم، فقد كان -صلى الله عليه وآله-: يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع وأقصر من المشذب أي الطويل القامة، عظيم الهامة رجل الشعر أزهر اللون واسع الجبين، أزج الحواجب سوابغ في غير قرن، بينهما عِرق يدرّه الغضب، أقنى العِرنين.

ولـه نور يعلوه يحسبه من لم يتأمّله أشم، كث اللحية، سهل الخدين، أدعج، ضليع الفم، أشنب مفلج الأسنان، دقيق المسربة كأن عُنقه جيد دُمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق بادناً متماسكاً، سواء البطن والصدر عريض الصدر.. حتى يقول: خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جُلّ نظره الملاحظة، يسوق أصحابه ويبدر من لقي بالسلام.

تلك بعض أوصافه المقدّسة، ومن بعض صفاته الجليلة تقرأ:

كان رسول الله -صلى الله عليه وآله- متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليس له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السّكوت، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلّم بجوامع الكلم، فصلاً لا فضولاً ولا قصيراً فيه، دمثاً ليس بالجافي ولا بالمهين، يُعظم النّعمة وإن دقت ولا يذم منها شيئاً، ولا يذم ذواقاً ولا يمدحه، ولا تغضبه الدّنيا وما كان لها، إذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها.. وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غضّ من طرفه، جُلّ ضحكه التّبسّم.

وغير تلك الصّفات والأوصاف الشّيء الكثير لذلك الرجل الكامل، سيّد الكمالات وصاحبها، على أنّ ما يروى بهذا الصدد إنّما هو محاولة لتقريب شخصه الشّريف للأذهان.

كيف نتعامل مع الفتن

صباح الصافي

كانت الفتن في السَّابق لا تخفى على من استعمل عقله، وتدبَّر في الأُمور، ويتمكّن بسهولة أن يفهم منشأ جميع ما يحدث من الأُمور السِّياسية كالعزل، والنَّصب، والاختلاف، والتَّنازع، والحروب، والمعارك، وإذا عسر عليه فهم بعض الأُمور رجع إلى العلماء وسألهم فيرشدونه إلى الواقع ويبيّنون له الحقائق، وربما كان لا يلزم الرجوع إلى العالم بل يكفي السّؤال من المثقّفين العارفين بالسّياسة العالمية، وغيرها، ولكن المؤسف له اليوم أنَّ الفتنة صارت مطبقة عمياء تاه فيها حتى بعض العلماء؛ لأنَّ بعضهم قد انغمس في الفتنة من حيث يعلم أو من حيث لا يعلم، فكيف نتوقّع لعامَّة الناس أن ينجون منها وهي الفتنة التي قال عنها النبي-صلى الله عليه وآله-: «ثمَّ تأتي الفتنة العمياء الصَّمَّاء المطبقة التي يصير النَّاس فيها كالأنعام»[1].

وفي رواية أُخرى عن الإمام الباقر-عليه السلام-: «وقبل ذلك فتنة شرّ فتنة، يمسي الرّجل مؤمناً ويصبح كافراً، ويصبح مؤمناً ويمسي كافراً، فمن أدرك ذلك منكم فليتق الله، وليحرز دينه...»[2].

وفي رواية: «كيف بكم إذا التفتّم يميناً فلم تروا أحداً، والتفتم شمالاً فلم تروا أحداً، واستوت بنو عبد المطلب، ورجع عن هذا الأمر كثير ممن يعتقده، يمسي أحدكم مؤمناً ويصبح كافراً، فالله الله في أديانكم، هنالك فانتظروا الفرج»[3].

والسَّبب في ذلك يعود إلى أنَّ السّياسة ما زالت تتعقّد، وتخفى على أثر الدّراسات المضنية التي يقوم بها

---

(١) المصنف: ١١: ٣٥٦.

(٢) الداني: ١٦١.

(٣) رسائل المفيد: ٤٠٠.

السّياسيون، والمهارات التي اكتسبوها فصاروا يستفيدون من كلِّ قوّة كامنة أو ظاهرة حتى محبّة أهل البيت -عليهم السلام- مثلاً، وصاروا يمسكون خيوط كلّ الدّمى التي تظهر في السّاحة السياسية، ويجيئون بكل من يريده الناس وفي الحقيقة هو لعبتهم وشبكتهم، والأفضل في كل ذلك حفظ النّفس، وعدم الانجرار وراء كل صيحة.

بعد هذه المقدّمة نشير إلى أهم الوظائف التي يجب علينا أن ننهض بها لنواجه الفتن المظلمة:

ومنها:

١. معرفة الحجة -عليه السلام-:

على الإنسان أوّلاً أن يعرف إمام زمانه، ويزداد معرفة يوماً بعد يوم، ثم يعرّف الإمام -عليه السلام- للآخرين حتى يعتقدوا بولايته وإمامته.

ففي الحديث الشّريف عن الإمام الصادق -عليه السلام-: «إعرف إمامك، فإنّك إذا عرفت لم يضرّك تقدّم هذا الأمر أو تأخر»[1]، وقد فسرّت المعرفة في الحديث بالاعتقاد بإمامته.

وفي حديث آخر عن أبي جعفر -عليه السلام- قال: «من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية، ومن مات وهو عارف لإمامه، لم يضرّه تقدّم هذا الأمر أو تأخر، ومن مات وهو عارف لإمامه كان كمن هو مع القائم في الفسطاط»[2].

ثم إنّ تحصيل المعرفة والمعارف لا يكون إلّا من خلال أهل البيت -عليهم السلام- وترك الطّرق الأخرى التي لم ينزل الله -تعالى- بها من سلطان، فأهل البيت أدرى بما فيه.

وممّا يؤسف له أنَّ البعض يتبع متاهات طويلة لا أوّل لها ولا آخر ويزعمها المعرفة الحقيقية، بل هي سراب يحسبه الظمآن ماءً دون أن يجده شيئاً.

وأهل البيت -عليهم السلام- قد نهوا عن الأخذ من غيرهم، ومن ذلك ما ورد عن يونس بن يعقوب أنّه قال للإمام الصَّادق -عليه السلام-: سمعتك تنهى عن الكلام وتقول: ويل لأصحاب الكلام؟. فقال أبو عبد

---

(١) الكافي: ج١/ ص٣٧١.

(٢) المصدر نفسه: ج١ / ص٣٧١ـ ٣٧٢.

الله -عليه السلام-: «ويل لهم إن تركوا ما أقول، وذهبوا إلى ما يريدون»[1].

وعن الإمام الباقر -عليه السلام- قال: «من دان الله بغير سماع من صادق ألزمه الله التيه يوم القيامة»[2].

وعن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر -عليه السلام- يقول: «ليس عند أحد من الناس حقّ ولا صواب، ولا أحد من الناس يقضي بقضاء حق، إلَّا خرج من عندنا أهل البيت، وإذا تشعبت بهم الأمور كان الخطأ منهم، والصَّواب من علي-عليه السلام-»[3].

نقل في أحوال الميرزا مهدي الأصفهاني -رحمه الله- الذي كان مشتغلاً بتعلم الفلسفة، ولكن لم يطمئن قلبه بنيل الحقائق، فقصد أهل العرفان في كربلاء المقدسة وتتلمذ على بعضهم، ومع ذلك لم تسكن نفسه.

لذا قال: وجدت كلتا الطائفتين كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، فطويت عنهما كشحاً وتوجهت وتوسّلت مجداً مكداً إلى مسجد السّهلة في غير أوانه باكياً متضرّعاً متخشّعاً إلى صاحب العصر والزّمان -عليه السلام-، فبان لي الحق وظهر لي أمر الله ببركة مولانا صاحب الزّمان -صلوات الله عليه-، ووقع نظري في ورقة مكتوبة بخطّ جلي: «طلب المعارف من غيرنا، أو طلب الهداية من غيرنا، مساوق لإنكارنا»، وعلى ظهرها مكتوب: «أقامني الله وأنا الحجة ابن الحسن».

قال: فتبرأت من الفلسفة والعرفان، وألقيت ما كتبت منهما في الشط، ووجهت وجهي بكله إلى الكتاب الكريم وآثار العترة الطاهرة -عليهم السلام-، فوجدت العلم كله في كتاب الله العزيز وأخبار أهل بيت الرسالة -عليهم السلام- الذين جعلهم الله خزاناً لعلمه وتراجمة لوحيه[4].

٢. الانتظار الحقيقي:

الوظيفة الأخرى في عهد الغيبة، الانتظار.

فإنَّ من علامات معرفة الإنسان لإمام الزمان -عليه السلام- هي انتظار ظهوره الشَّريف، والإحساس

---

(١) الكافي: ج١/ ص١٧١.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢٧ / ص٧٥.

(٣) الفصول المهمة: ج١/ ص٤٠٢-٤٠٣.

(٤) مستدرك سفينة البحار: ج١٠/ ص١٠-١١.

الحقيقي باللوعة والأسى لفراقه، وهذا ما يظهر في دعاء النّدبة الشريف، الذي يستحب قراءته في يوم الجمعة وسائر الأعياد المباركة، فالمنتظر الحقيقي يترقّب الظّهور بفارغ الصَّبر، ولا يهنأ بعيد أبداً وإمامه -عليه السلام- غائب عن الأنظار.

وفي الدعاء:

«عَزيزٌ عَلَيَّ أنْ يجريَ عَلَيكَ دُونَهُم مَا جَرَى، هَلْ مِن مُعينٍ فَأُطيلَ مَعَهُ الْعَويلَ وَالبُكَاء؟ هَل مِن جَزُوعٍ فَأَسَاعِدَ جَزَعَهُ إذا خَلا؟ هَل قُذِيَتْ عَينٌ فَسَاعَدَتْها عَيْني عَلَى القَذَى؟ هَل إلَيكَ يَا بْنَ أحمدَ سَبيلٌ فَتُلْقَى؟ هَل يَتّصل يَومُنا مِنكَ بغَدِهِ فَنَحْظَى؟.

مَتَى نَرِدُ مَنَاهِلَكَ الرّويَّةَ فَنُرْوَي! مَتَى نَنْتَفِعُ مِنْ عَذْبِ مَائِكَ فَقَدْ طَالَ الصَّدَى! مَتَى نُغَادِيكَ وَنُرَاوِحُكَ فَنُقِرّ عَيْناً! مَتَى تَرَانَا وَنَرَاكَ وَقَدْ نَشَرْتَ لِوَاءَ النّصْرِ تُرَى! أتَرَانَا نَحُفُّ بِكَ وَأنْتَ تَؤُمُّ الملأ وَقَدْ مَلأتَ الأرْضَ عَدْلاً! وَأذَقْتَ أعْدَائَكَ هَوَاناً وَعِقَابَاً! وَأبَرْتَ الْعُتَاةَ وَجَحَدَةَ الحَقّ، وَقَطَعْتَ دَابِرَ المتَكَبِّرِينَ، وَاجْتَثَثْتَ أُصُولَ الظَّالِمِينَ، وَنَحْنُ نَقُولُ الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين»[1].

ولنا في الإمام الصادق -عليه السلام- أسوة، وهو العالم بما سيكون في الغيبة وكأنّه يعايشها في عصره.

يقول سدير الصيرفي: دخلت أنا والمفضل بن عمر وأبو بصير وأبان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله الصادق -عليه السلام-، فرأيناه جالساً على التّراب وعليه مسح خيبري[2] مطوّق بلا جيب، مقصر الكمين، وهو يبكي بكاء الواله الثكلى، ذات الكبد الحري، قد نال الحزن من وجنتيه، وشاع التّغيير في عارضيه، وأبلى الدموج محجريه وهو يقول:

«سيدي غيبتك نفت رقادي، وضيقت علي مهادي، وابتزت منّي راحة فؤادي، سيدي غيبتك أوصلت مصابي بفجايع الأبد، وفقد الواحد بعد الواحد، يفنى الجمع والعدد، فما أحس بدمعة ترقى من عيني وأنين

---

(١) المزار: ص٥٨٢.

(٢) المسح بكسر الميم كساء من الشعر.

يفتر[1] من صدري عن دوارج الرّزايا وسوالف البلايا، إلاّ مثل بعيني عن غوابر[2] أعظمها وأفظعها، وبواقي أشدها وأنكرها، ونوائب مخلوطة بغضبك، ونوازل معجونة بسخطك».

قال سدير: فاستطارت عقولنا ولهاً، وتصدعت قلوبنا جزعاً من ذلك الخطب الهائل، والحادث الغائل[3]، وظننا أنه سمت لمكروهة قارعة[4]، أو حلت به من الدهر بائقة. فقلنا: لا أبكى الله يا ابن خير الورى عينيك من أية حادثة تستنزف دمعتك[5] وتستمطر عبرتك؟! وأية حالة حتمت عليك هذا المأتم؟!.

قال: فزفر[6] الصّادق -عليه السلام- زفرة انتفخ منها جوفه، واشتدّ عنها خوفه، وقال: «ويلكم نظرت في كتاب الجفر صبيحة هذا اليوم ـ وهو الكتاب المشتمل على علم المنايا والبلايا والرّزايا وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة الذي خص الله به محمداً -صلى الله عليه وآله- والأئمة من بعده -عليهم السلام- ـ وتأملت منه مولد غائبنا وغيبته، وإبطائه وطول عمره، وبلوى المؤمنين في ذلك الزّمان، وتولد الشّكوك في قلوبهم من طول غيبته، وارتداد أكثرهم عن دينهم، وخلعهم ربقة الإسلام من أعناقهم التي قال الله تقدّس ذكره: (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ)[7] يعني الولاية، فأخذتني الرقة واستولت عليّ الأحزان»[8].

٣. الاستعداد للظهور:

لا يمكن أن يكون الإنسان منتظراً حقيقيّاً إلاّ إذا أعدّ نفسه وربطها بإمام الزّمان -عليه السلام- لكي لا يضيع في زوبعة الفتن التي تجرف الناس في آخر الزّمان، بالطبع هذا يحتاج إلى التّوسّل الدّائم بأهل البيت -عليهم السلام- والعناية منهم.

---

(١) يفتر: أي يخرج بضعف وفتور.

(٢) لغوابر:: جمع غابر نقيض الماضي.

(٣) أي الحدث المهلك.

(٤) سمت لهم: أي هيأ لهم وجه الكلام والرأي.

(٥) استنزف الدمع: استنزله واستخرجه.

(٦) الزفر: الزفير، والفعل يزفر، وهو أن يملأ صدره غماً ثم يزفر به، والشهيق مد النفس ثم يزفر، أي: يرمي به و يخرجه من صدره. راجع كتاب العين: ج٧ ص٣٦٠ مادة زفر. وفي مجمع البحرين: ج٣ ص٣١٧ مادة زفر: وزفر زفيراً: أخرج نفسه بعد مدة أيام.

(٧) سورة الإسراء: ١٣.

(٨) كمال الدين: ج٢/ ص٣٥٢-٣٥٤.

٤. التّعريف بالحجّة -عليه السلام-:

معظم النَّاس اليوم في العالم إمّا لا يعرفون الإمام الحجة -عليه السلام- أو يعرفونه ولكن معرفة غير صحيحة، بأن سمعوا عنه من خلال أعدائه الذين شوّهوا صورته أمام العالم، حيث صوّروه على أنَّه سفّاك للدماء، يجلب للبشرية الويلات، والحال أنَّه -عليه السلام- رحمة الله الواسعة وباب نجاة الأمّة.

بالطبع يمكن تعريفه -عليه السلام- للعالم بمختلف السّبل، ومنها الكتابة حول سيرته العطرة ونهجه النّيّر، وإلقاء المحاضرات، وعقد النّدوات والمؤتمرات العلمية، وتأسيس فضائيات باسمه الشّريف، وغير ذلك من سبل المعرفة والتّعريف به -عجَّل الله فرجه-.

إذن العمل المطلوب هو المتّفق عليه الذي أمر به الله -سبحانه وتعالى-، وجاء به القرآن الكريم ووصّى به الرسول الأعظم محمد -صلى الله عليه وآله-، وأكّده الأئمّة الطاهرون من أهل البيت -عليهم السلام- هو الانشغال بصنوف العبادات الواجبات، والمستحبّات، والالتزام بترك المحرّمات، والمكروهات، فيقوم بالصَّلاة، والصَّوم، والزَّكاة، والحج، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ومساعدة الفقراء والمحتاجين، ونشر الدِّين القويم، والولاية لأئمّة المسلمين المعصومين -عليهم السلام-، وتقوية الارتباط بهم بالمواظبة على زيارة مشاهدهم المشرفة، والاجتماع حولها بكلِّ وقار واحترام، والاهتمام بالمواكب الحسينية والمشاركة فيها، والعيش مع الناس ومخالطتهم بالأبدان والانفصال عنهم بالأرواح، ومجاملة جميع الأهواء المتشتّتة المتفرّقة والتجمعات من دون انحياز إلى طائفة ولا معاداة أُخرى؛ لأنّ صاحب الأمر يجمع الأهواء المتشتّتة على الحق، فبإمامك اقتده.

والتَّحذير الأهم هو التّجنّب عن إراقة الدّماء فإنّها مسألة خطيرة جدّاً، وهي تدبير فراعنة الزّمان لإضعاف القضيّة، وذلك بإيجاد الاختلاف وزرع الفتنة بين أفراد الطائفة ومجاميعها فيقتتلون، فإنَّ السّياسة العالمية أكثر تعقيداً مما نتصوّر؛ لأنَّهم يدرسون السّياسة بأعمق معانيها، ويتوصّلون إلى الاحتيال بكلِّ الوسائل حتى التي تكون حقة وصحيحة بحسب الظّاهر، ونحن نراوح في مكاننا ونمضي على سجيّتنا وبساطتنا وصدق نوايانا.

التمسّك بالمرجعية في زمن الغيبة الكبرى

السيّد ضياء الخبّاز

عند الرجوع إلى الرّوايات الواردة عن المعصومين -عليهم السلام- نجد أنَّ الأئمَّة الأطهار قد حذَّروا من مرحلةٍ حرجةٍ خطيرةٍ يمرُّ بها المجتمعُ الشيعيُّ، وهي مرحلة التَّمحيص، فمن تلك الرّوايات:

١ ـ ما ورد عن أبي بصير، عن أبي عبد الله -عليه السلام- أنَّه قال: « مع القائم -عليه السلام- من العرب شيء يسير»، فقيل له: إنَّ من يصف هذا الأمر منهم لكثير! قال: «لا بدَّ للناس من أن يُمحَّصوا، ويُميَّزوا، ويُغربَلوا، وسيخرج من الغربال خلق كثير»[١].

٢ ـ وعنه -عليه السلام-أيضاً: «هيهاتَ هيهاتَ! لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم ـ يعني ظهور الإمام المهدي -عليه السلام-ـ حتَّى تُميَّزوا، لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتَّى تُمحَّصوا، لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتَّى تُغربَلوا، لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم إلَّا بعد إياسٍ، لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتَّى يشقى مَنْ يشقى ويسعد مَنْ يسعد»[٢].

الحاصل: أنَّ الرّوايات تتحدَّث عن حقيقةٍ مخيفةٍ، وهي عملية التّمحيص التي سيتعرَّض لها المجتمع الشيعي، وسيخرج من هذه العملية خلقٌ كثيرٌ، وهذه العملية مرتبطةٌ بغيبة الإمام المهدي -عجَّل الله فرجه-، فقد ورد في الرواية عن أمير المؤمنين -عليه السلام-: «والله لأُقْتَلَنَّ أنا وابناي هذان ـ يعني: الحسن والحسين ـ وليبعثنَّ اللهُ رجلاً من ولدي في آخر الزمان يُطالِب بدمائنا، وليغيبنَّ عنهم تمييزاً لأهل الضَّلالة حتَّى يقول الجاهلُ: ما لله في آل أحمد من حاجةٍ»[٣].

(١) الكافي ١: ٣٧٠.

(٢) المصدر نفسه: ٣٧٠.

(٣) الغيبة للنعماني: ١٤٣.

فقوله -عليه السلام-: «وليغيبنَّ عنهم تمييزاً» واضح الدلالة على ما قلناه من ارتباط عملية التّمحيص بغيبة الإمام المنتظر -عليه السلام-، ولكن الذي ينبغي أن يقع البحث حوله في هذه الرّواية الشّريفة هو بيان حقيقة هذه العلاقة بين الغيبة والتّمحيص، فهل هي من قبيل علاقة العلّيّة أم علاقة الهدفية؟

وقبل بيان الحقيقة لا بدَّ وأن نُفرِّق أوّلاً بين العلاقتين، وذلك متوقّف على فهم الفرق بين العلّية والهدفية، أو فقل: بين مصطلحي العلَّة والحكمة، وبيانه:

أنَّه قد قُرِّرَ في محلّه أنَّ العلَّة هي التي يدور المعلولُ مدارَها وجوداً وعدماً، فإذا وُجِدَت وُجِدَ وإذا انعدمت انعدم، بينما الحكمة هي المصلحة والثَّمرة المترتّبة على وجود الشّيء، فقد يوجد الشيءُ ولا توجد، وقد يوجد وتوجد معه.

وبعبارة أُخرى: أنَّ علاقة العلّيّة هي علاقة تلازمية لا تتخلَّف، فإذا وُجِدَت العلَّة لا بدَّ وأن يوجد المعلول من غير تخلّف، وهذا النحو من الملازمة غير موجود في الحكمة والهدفية، إذ يمكن تخلّفه كما يمكن تحقّقه.

إذا اتَّضح ذلك نقول: هل أنَّ العلاقة بين غيبة وليّ الله الأعظم أرواحنا فداه، وبين التَّمحيص والغربلة والتمييز ونحوها من العناوين الواردة في الروايات الشَّريفة، هي علاقة العلّيّة، بحيث أنَّ الله -تبارك وتعالى- إنَّما غيَّب وليَّه من أجل تمحيص الشّيعة وغربلتهم، ولو أنَّه لم يرد تمحيصهم لما غيَّبه، أم أنَّه غيَّبه لعلَّة تخفى علينا، وأحد أهداف تغييبه هو التمحيص؟

الصحيح هو الثّاني، لعدم معرفة أحد بعلَّة الغيبة، وهذا ما دلَّت بعض الرّوايات الشّريفة، منها خبر عبد الله بن الفضل: قال الإمام الصادق -عليه السلام-: «إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبةً لا بدَّ منها، يرتاب فيها كلُّ مبطلٍ»، فقلتُ: ولِمَ جُعِلْتُ فداك؟ قال: «ذلك لأمرٍ لم يُؤْذَن لنا في كشفه لكم»[1].

والحاصل: فإنَّ علَّة الغيبة لا يعلمها إلَّا الله -تبارك وتعالى- وخزّان علمه، وبهذا تتبيَّن الملاحظة على ما يذكره البعض من كون العلَّة من غيبته هي الخوف من القتل، أو اكتساب الخبرات القياديَّة! أو غير ذلك من التعليلات التي لا مستند لها.

---

(١) علل الشرائع ١: ٢٤٦.

بيان حقيقة التّمحيص:

بعد أن اتَّضح لنا أنَّ المجتمع الشّيعي يتعرَّض إلى عملية تمحيص في زمن الغيبة، لا بدَّ من بيان حقيقة هذا التّمحيص وماهيَّته ليكون المؤمن على أُهبةٍ واستعدادٍ وحذرٍ.

فنقول: إنَّ هذا التَّمحيص في زمن الغيبة على مستويين:

المستوى الأوَّل: التَّمحيص السّلوكي، حيث يُمَحَّصُ الناسُ من خلال غرائزهم وشهواتهم، ليُعْلَمَ من الذي ينقاد لشهواته وغرائزه ومن الذي يتجرَّد منها، فنحن نعيش في زمان ثورةٍ غرائزيَّةٍ من خلال توفّر سبل الإثارة للغرائز والشّهوات، وزمان الثورة الغرائزيَّة هو زمان عملية التّمحيص السّلوكي للناس من خلال غرائزهم.

وقد وردت الرّوايات الشَّريفة التي تشير إلى هذا النَّوع من التَّمحيص، كما في الخبر الطويل الذي يرويه الشيخ الكليني في الكافي الشَّريف عن مولانا الإمام الصّادق -عليه السلام-: «مَنْ انتظر أمرَنا وصبر على ما يرى من الأذى والخوف فهو غداً في زمرتنا، إذا رأيتَ الحقَّ قد مات وذهب أهلُه، ورأيتَ القمارَ قد ظهر، ورأيتَ الشرابَ يُباع جهاراً وليس له مانعٌ، ورأيتَ النساءَ يبذلن أنفسَهنَّ لأهل الكفر، ورأيتَ الملاهي قد ظهرت لا يجرؤ أحدٌ على منعها، ورأيتَ الدماءَ قد اسْتُخِفَّ بها، ورأيتَ الناسَ قد تساووا في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتديّن به، فكن على حذر واطلب إلى الله عز وجل النجاة، واعلم أنَّ الناس في سخط الله عز وجل وإنَّما يُمهلهم لأمر يُراد بهم، فكن مترقِّباً واجتهد ليراك الله عز وجل في خلاف ما هم عليه»[1].

فهذه الرّواية الشَّريفة _ وأمثالها _ تتحدَّث عن عملية تمحيصٍ سلوكي، وتُبيِّن أنَّ الناس سيتعرَّضون إلى موجبات الإثارة والمفاتن الدّنيويَّة على أشدّها، والذي يُشرِّفُ برؤية الإمام ونصرته هو مَنْ يتجاوز التّمحيص السّلوكي بنجاح.

المستوى الثاني: التّمحيص الفكري، وهو المستوى الأخطر والأشدّ؛ لأنَّ الناس لا يلتفتون إليه عادةً، فالمجتمع الشّيعي سيُمَحَّصُ في بصيرته وعقائده وأفكاره، وستنتشر الراياتُ الضالّة والأفكارُ المنحرفةُ والشبهاتُ باسم الدين، ولا يخرج من هذه العملية إلَّا صاحبُ الوعي والبصيرة.

ويشهد لذلك ما ورد عن الإمام أمير المؤمنين -عليه السلام-: «الحادي عشر من ولدي، هو المهدي الذي

(١)ينظر الكافي ٨: ٣٦ - ٤٢..

يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، تكون له غيبة وحيرة، يضلّ فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون»[1].

فإنَّ التَّعبير فيها بالضَّلال والاهتداء واضح الدلالة على التَّمحيص في البصائر والدّين.

والمتحصِّل: أنَّ التَّمحيص الذي يمرُّ به العالمُ الشيعي على مستويين، سلوكي وفكري، والثاني يشكل امتحاناً أخطر من الأوَّل إذ هو مرتبط بدين الناس وبصائرهم، وسيظهر من يرفع الرّايات باسم الإمام المنتظر ويدَّعي السفارة والنّيابة والارتباط به -عليه السلام-، ومن ينصاع لهؤلاء فقد وقع في هاوية الجحيم.

الهدف من عملية التَّمحيص:

إنَّ من يراجع لآيات القرآن الكريم يقف على حقيقة غير قابلة للإنكار والتَّشكيك، بل هي سُنَّة تكوينية لا بدَّ وأن تتحقَّق في كلِّ مجتمع من المجتمعات، من المجتمع الآدمي الأوَّل الذي شمل آدم وبنيه، إلى آخر يوم من أيّام الدنيا، وهي عملية التّمحيص التي لا تختلف ولا تتخلَّف، وهذا ما صدحت به آيات الذّكر الحكيم، كما في قوله -تعالى-: «أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ» [2]

ولسنا بحاجة لإقامة الشَّواهد الكثيرة للتدليل على هذه الحقيقة، وإنَّما نحن بحاجة لمعرفة الهدف منها، فلماذا جعل الله -تبارك وتعالى- عملية التّمحيص سُنَّة تأريخية اجتماعية تكوينية لا بدَّ أن يمرَّ بها كلّ مجتمع؟

والجواب عن ذلك بأن يُقال: إنَّ الله -تبارك وتعالى- جعل للعباد مراتب ومواقع ومناصب ودرجات، لا ينالها أحدهم إلَّا بعد الارتقاء في سُلَّم الكمال ودرجاته، وهذا الارتقاء لا يكون إلَّا بالتَّمحيص والابتلاء.

خضوع مقام التشرّف بالإمام لقانون التّمحيص:

إذا اتَّضح أنَّ التَّمحيص عموماً إنَّما هو من أجل التّأهيل لسموّ الموقع، يتَّضح الكلام فيما نحن فيه، فإنَّ صحبة الإمام المهدي -عليه السلام- ونصرته من المقامات الشّامخة، وعليه فلا بدَّ للارتقاء لها من المرور بعملية التَّمحيص.

وتفصيل ذلك: أنَّ موقعها ورتبتها عند الله -عز وجل- ممَّا يُحيِّر العقول ويُدهشها، وقد وردت روايات

(١) الكافي ١: ٣٣٨.

(٢) سورة العنكبوت: ٢ و٣.

متعدّدة في فضل أصحاب الإمام المنتظر -عليه السلام-ومقامهم العالي.

منها: ما رواه شيخنا الصدوق -رحمه الله- في كمال الدّين وتمام النّعمة بسنده إلى إمامنا باقر العلوم -عليه السلام-: "كأنّي بأصحاب القائم -عليه السلام-وقد أحاطوا بما بين الخافقين، فليس من شيء إلّا وهو مطيع لهم حتى سباع الأرض وسباع الطير، يطلب رضاهم في كلِّ شيء، حتى تفخر الأرض على الأرض وتقول: مرَّ بي اليوم رجل من أصحاب القائم -عليه السلام-"[1].

وبناءً على ما تقدَّم، وبمقتضى قانون التَّجانس والتَّناسب العقلائي، فإنَّ مقاماً كهذا المقام، ومنزلةً كهذه المنزلة، لا بدَّ وأن لا تُنال إلّا بشقِّ الأنفس، وبطيّ تلك الاختبارات والابتلاءات، وبالصّبر أمام ذلك التّمحيص بما يناسب عظمة المقام، ويشهد لذلك ما جاء عن إمامنا الصادق -عليه السلام-: «من سرَّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدوا وانتظروا، هنيئاً لكم أيَّتها العصابة المرحومة»[2].

وظيفة المؤمن في مرحلة التّمحيص:

تقدَّم في المطالب السَّابقة تقسيم التَّمحيص إلى فكري بصائري، وسلوكي عملي، وتقدَّم هناك أيضاً أنَّ الأوَّل أخطرهما، وأمَّا وجه أخطريَّته، فيمكن تقريبه ببيان أمرين:

الأمر الأوَّل: أنَّ التّمحيص السّلوكي ممَّا يمكن تمييزه بسهولة، فالذي يعرف المحرَّمات بمختلف أنواعها، يمكنه الاجتناب عنها بسهولة.

الأمر الثّاني: أنَّ التَّمحيص الفكري يكون باسم الدّين والعلم، فيكون التمييز فيه صعباً حرجاً سيّما للطبقة العامّة.

وعلى ضوء ذلك نقول: إنَّ الرّوايات الشّريفة قد ركَّزت على ثلاث وظائف مهمَّة ينبغي للمؤمنين أن يقوموا بها في مرحلة التَّمحيص:

الوظيفة الأولى: الحذر من أئمّة الضّلال وأدعياء المهدوية:

(١) كمال الدين: ٦٧٣.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٠٧.

وقد ركَّزت الرّوايات الشَّريفة على هذا الأمر كثيراً، فمنها: صحيحة أبي خديجة، عن إمامنا الصّادق -عليه السلام-أنَّه قال: «لا يخرج القائم حتى يخرج اثنا عشر من بني هاشم كلّهم يدعو إلى نفسه»[1].

والحاصل: أنَّ هنالك حالة من الضَّبابية تسود في مرحلة التّمحيص، وينبغي للإنسان أن يكون حذراً يقظاً ذا بصيرة في التَّعامل مع الأحداث المرتبطة بظهور الإمام -عليه السلام-.

الوظيفة الثَّانية: التّمسّك بالفقهاء والعلماء:

والملاحظ عند التَّدقيق في سيرة أهل البيت -عليهم السلام-، وبالأخصّ ما جاء عن الأئمّة المتأخّرين -عليهم السلام- ابتداءً بإمامنا الجواد وانتهاءً بإمامنا العسكري -عليهم السلام-، هو دورهم الواضح والكبير في التَّمهيد لغيبة الإمام المهدي -عليه السلام- باعتبار أنَّها ظاهرة جديدة غير مألوفة للشيعة الذين اعتادوا على أن يكون الإمامُ بين أيديهم.

ومِنْ جملة الإعدادات التي ركَّز عليها الأئمَّة المتأخّرون -عليهم السلام-: تحديد المرجعية الدينية التي يرجع إليها الناس في أُمور دينهم في زمن غيبة الإمام المهدي -عليه السلام-.

والرّوايات في هذا الشّأن _ أعني تركيز الأئمَّة -عليهم السلام- على الفقهاء ودورهم _ كثيرة ومتعدّدة، ويمكن تصنيفها على طائفتين:

الطائفة الأولى: الرّوايات التي تتحدَّث عن فضل العلم والعلماء على نحو العموم دون أن تتحدَّث عن فترة زمنية خاصّة يمرُّ بها العلماء.

منها: صحيحة القدّاح، عن الإمام الصّادق -عليه السلام-، عن رسول الله -صلى الله عليه وآله-: «وإنَّ العلماء ورثة الأنبياء»[2].

وعنه -عليه السلام-: «الرّاوية لحديثنا يشدُّ به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد»[3].

---

(١) الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٣٧؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٣٧٢.

(٢) الكافي ١: ٣٤.

(٣) المصدر نفسه ١: ٣٣.

وعنه -عليه السلام-: «العلماء أُمناء، الأتقياء حصون، والأوصياء سادة»[1].

والرّوايات في هذا الشّأن كثيرة جدّاً.

الطائفة الثّانية: الرّوايات التي تتحدَّث عن فضل العلم والعلماء في فترة زمنية خاصّة وهي التي عبَّرنا عنها بمرحلة التَّمحيص.

فمنها: ما ورد عن إمامنا الجواد -عليه السلام- أنَّه قال: «من تكفَّل بأيتام آل محمّد المنقطعين عن إمامهم المتحيّرين في جهلهم الأُسراء في أيدي شياطينهم وفي أيدي النّواصب من أعدائنا فاستنقذهم منهم وأخرجهم من حيرتهم وقهر الشّياطين بردّ وساوسهم وقهر النّاصبين بحجج ربّهم ودليل أئمَّتهم ليفضلون عند الله -تعالى- على العبّاد بأفضل المواقع بأكثر من فضل السّماء على الأرض والعرش والكرسي والحجب على السماء، وفضلهم على هذا العابد كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكب في السّماء»[2].

ومنها: ما روي عن الإمام الهادي -عليه السلام-: «لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم -عليه السلام- من العلماء الدّاعين إليه والدّالّين عليه والذّابّين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته ومن فخاخ النّواصب لما بقي أحد إلّا ارتدَّ عن دين الله، ولكنَّهم الذين يُمسِكون أزمَّة قلوب ضعفاء الشّيعة كما يمسك صاحب السّفينة سكّانها، أُولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل»[3].

ومنها: ما روي عن الإمام العسكري -عليه السلام-: «فأمَّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يُقلِّدوه»[4].

ولمَّا وصلت النّوبة إلى إمامنا المنتظر -عليه السلام- كتب في التّوقيع الرفيع لسفيره المقدَّس الشيخ محمّد بن عثمان العمري قدّس سرّه: «وأمَّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنَّهم حجَّتي عليكم وأنا حجَّة الله عليهم»[5]،[6].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الاحتجاج ١: ٩.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الاحتجاج ٢: ٢٦٣.

(٥) كمال الدين: ٤٨٥.

(٦) راجع المجلَّد الثاني من البحار للعلَّامة الأجلّ المجلسي رحمه الله حيث عقد هناك أبواباً متعدِّدة وأورد فيها الروايات الشريفة المرتبطة بالمقام.

والمتحصِّل من ذلك كلّه: أنَّ الأئمَّة -عليهم السلام- وخصوصاً المتأخّرين أسَّسوا لمرجعية دينية للفقهاء من شيعتهم _ في زمن الغيبة للإمام -عليه السلام-_ يرجع إليها الناس، ومن هنا تعرف أنَّ ما جرت عليه سيرة الشّيعة الإماميّة «أعلى الله كلمتهم» من الرجوع إلى الفقهاء والمراجع العظام إنَّما هو استجابةٌ لما أراده الأئمَّة -عليهم السلام-.

وعليه: فلا يُصغى لأيِّ دعوى زائفة كالدعاوى التي يُردِّدها بعض الضّالّين والمغرضين من التّحذير من المراجع العظام واتّهامهم بالضّلال معاذ الله، فهذا خلاف المشروع الذي أسَّس له أئمَّة الحق -عليهم السلام-.

الوظيفة الثّالثة: التّسلّح المعرفي:

وقد ركَّزت الرّوايات الشَّريفة على هذه الوظيفة تركيزاً بالغاً يكشف عن أهمّيّة هذه الوظيفة وحسّاسيتها، فمنها:

ما عن عمرو بن أبان، قال: سمعت أبا عبد الله -عليه السلام-يقول: «اعرف العلامة فإذا عرفته لم يضرّك تقدَّم هذا الأمر أو تأخَّر، إنَّ الله عز وجل يقول: «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ» [1]، فمن عرف إمامه كان كمن كان في فسطاط المنتظر -عليه السلام-»[2].

وعن زرارة بن أعين، عن الإمام الصادق -عليه السلام- حين حديثه عن الحجَّة المنتظر -عليه السلام-: «وهو المنتظر غير أنَّ الله عزّ وجل يحبّ أن يمتحن الشّيعة، فعند ذلك يرتاب المبطلون يا زرارة»، قال: قلت: جُعلت فداك، إن أدركت ذلك الزّمان أيّ شيء أعمل؟ قال: «يا زرارة، إذا أدركت هذا الزّمان فادع بهذا الدّعاء: اللّهمّ عرِّفني نفسك، فإنَّك إن لم تُعرِّفني نفسك لم أعرف نبيَّك، اللّهمّ عرِّفني رسولك، فإنَّك إن لم تُعرِّفني رسولك لم أعرف حجَّتك، اللّهمّ عرِّفني حجَّتك، فإنَّك إن لم تُعرِّفني حجَّتك ضللت عن ديني»[3] .

---

(١) سورة الإسراء: ٧١.

(٢) الكافي: ١/ ٣٧٢.

(٣) لمصدر نفسه: ١/ ٣٣٧.

من فوائد وجود الإمام -عليه السلام-

فاطمة كامل المسعودي

فوائد الإمام الحجة -عليه السلام- كثيرة للأنام لا تكاد تُحصى أو تعدّ، لكن كثيراً من الناس لا يعرفون هذه الفوائد مع وضوحها، فهي كالشَّمس التي هي مصدر الإشعاع والدِّفء وكل خير، لكن لتوفّر هذه النّعم لا يلتفت الناس إليها عادة.

ففي الخبر عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري -رحمه الله- يقول: لما أنزل الله عزوجل على نبيه محمد -صلى الله عليه وآله-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ)[1].

قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله، فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟!.

فقال -صلى الله عليه وآله-: «هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين من بعدي، أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن والحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فأقرئه منّي السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سميي وكنيي حجة الله في أرضه، وبقيته في عباده، ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلاّ من امتحن الله قلبه للإيمان».

قال جابر: فقلت له: يا رسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟.

فقال -صلى الله عليه وآله-: «أي والذي بعثني بالنبوّة، إنَّهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشَّمس وإن تجللها سحاب. يا جابر هذا من مكنون سرّ الله، ومخزون علمه، فاكتمه إلا عن أهله»[2].

---

(١) سورة النساء: ٩٥.

(٢) كمال الدين: ج١ ص٢٥٣.

ومن تلك الفوائد:

١. قبول الأعمال:

معرفة إمام الزَّمان -عليه السلام- شرط لقبول الأعمال، بل شرط الإيمان، فمن لم يعرف إمام زمانه كان كالجاهليين.

في الخبر عن أبي حمزة الثّمالي، قال: قال لنا علي بن الحسين -عليه السلام-: «أيّ البقاع أفضل؟».

فقلنا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم.

فقال لنا: «أفضل البقاع ما بين الركن والمقام، ولو أنّ رجلاً عمّر ما عمّر نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، يصوم النَّهار، ويقوم الليل في ذلك المكان، ثم لقى الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً»[١].

وفي الزيارة الجامعة: «وبموالاتكم تقبل الطاعة المفترضة، ولكم المودّة الواجبة»[٢].

وفي دعاء النّدبة: «واجعل صلاتنا به مقبولة»[٣].

ومن مجموع هذه الأخبار وغيرها يظهر أنّ الاعتقاد بالمعصومين -عليهم السلام- وولايتهم هو سرّ قبول الأعمال.

٢. هبوط البركات:

إنَّ البركات الإلهية تهبط إلى الخلق ببركة المعصوم -عليه السلام-.

ففي زيارة الإمام الحسين -عليه السلام-: «بكم تنبت الأرض أشجارها، وبكم تخرج الأشجار أثمارها، وبكم تنزل السّماء قطرها ورزقها، وبكم يكشف الله الكرب، وبكم ينزل الله الغيث»[٤].

وعن الإمام الصادق -عليه السلام-: «بنا أثمرت الأشجار، وأينعت الثّمار، وجرت الأنهار، وبنا ينزل غيث السَّماء، وينبت عشب الأرض، وبعبادتنا عبد الله، ولولا نحن ما عبد الله»[٥].

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٢٤٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٩٩ ص١٣٢.

(٣) المزار: ص٥٨٤.

(٤) الكافي: ج٤ ص٥٧٦-٥٧٧.

(٥) المصدر نفسه: ج١ ص١٤٤.

وعن الإمام زين العابدين -عليه السلام-: «وبنا ينزل الله الغيث، وتنشر الرّحمة، وتخرج بركات الأرض»[1].

٣. دفع البلاء:

ما أكثر البلاء النازل، ولولا الحجّة -عليه السلام- لساخت الأرض بأهلها، فإنَّ أصل وجود الإمام -عليه السلام- مظهر للرحمة الرّبّانية وموجب لدفع البلاء.

هذا مضافاً إلى دعاء الإمام -عليه السلام- لشيعته في كلّ يوم، ودعاؤه مستجاب قطعاً وهو يوجب رفع البلاء عنهم.

قال الإمام الباقر-عليه السلام-: «ونحن الذين بِنا تنزل الرَّحمة، وبِنا تسقون الغيث، ونحن الذين بِنا يصرف عنكم العذاب، فمن عرفنا ونصرنا وعرف حقَّنا وأخذ بأمرنا فهو منّا وإلينا»[2].

وقال الإمام الحجّة -عليه السلام- مخاطباً الشّيخ المفيد -رحمه الله-: «كأنّهم لا يعلمون أنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء، واصطلمكم الأعداء»[3].

٤. قضاء الحوائج:

المعصوم -عليه السلام- سبيل ووسيلة إلى الله -تعالى-، وقد قال -تعالى-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[4].

وقال عزوجل: (فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا) [5].

وكم هم الذين نالوا حوائجهم وحصلوا على مرادهم ببركة التّوسّل بإمام الزّمان -عليه السلام-، ويشهد لذلك القصص الكثيرة التي لا يخلو منها زمان ما.

٥. استجابة الدّعاء:

ورد في دعاء النّدبة: «وامنن علينا برضاه، وهب لنا رأفته ورحمته، ودعاءه وخيره، ما ننال به سعة من رحمتك،

(١) ينابيع المودة: ج٣ ص٣٦٠.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٦ ص٢٤٩.

(٣) الاحتجاج: ج٢ ص٧٩٤.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

(٥) سورة المزمل: ١٩، سورة الإنسان: ٢٩.

وفوزاً عندك، واجعل صلاتنا به مقبولة، وذنوبنا به مغفورة، ودعاءنا به مستجاباً»[1].

٦. شفاء المرضى:

ورد في الزّيارة الرجبية: «فبكم يجبر المهيض، ويشفى المريض»[2].

وما أكثر المرضى الذين نالوا شفاءهم ببركة الإمام الحجة -عليه السلام- وبإذن الله -تعالى-، بل إنَّه -عليه السلام- يعنيه مرض الموالين ويدعو لهم.

عن أمير المؤمنين -عليه السلام- قال: «ذكرنا أهل البيت شفاء من الوعك والأسقام، ووسواس الريب، وحبّنا رضى الربّ تبارك وتعالى»[3].

٧. هداية العباد:

الإمام الحجة -عليه السلام- كآبائه الطَّاهرين -عليهم السلام- سُبل هداية العباد، وهذا المعنى ظاهر في دعاء الافتتاح لكل ليلة من شهر رمضان المبارك، حيث ورد عنه -عجل الله فرجه الشّريف-: «واهدنا به لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنّك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[4].

٨. بيان الأحكام:

ويشهد لذلك قصّة الشَّيخ المفيد -رحمه الله- لما أمر بدفن المرأة التي في بطنها الطفل. فاستدرك صاحب الأمر -عليه السلام- ذلك بإرسال شخص يبيّن الحكم الصّحيح، وهو شق البطن وإخراج الطفل ثم دفن الأم.

ومما يدل على بيان الأحكام في الجملة، ما ذكر في الإجماع التشرفي. ولا يخفى أنَّ بيان الأحكام في الغيبة يكون في الجملة، لا كعصر الظهور.

٩. إغاثة الملهوف:

لا شك أنّ المعصومين -عليهم السلام- هم ملاذ الخلق وملجأهم عند الشّدائد، بهم يلوذ العباد لخلاصهم

---

(١) المزار: ص٥٨٤.

(٢) مصباح المتهجد: ص٨٢١.

(٣) المحاسن: ج١ ص٦٢.

(٤) مصباح المتهجد: ص٥٨١.

من المحن. ففي الحديث عن الإمام الرضا -عليه السلام- ـ في صفات الإمام المعصوم -عليه السلام- ـ قال: «مفزع العباد في الدّاهية النآد»[1] أي الأمور العظيمة.

وفي الدّعاء عند نزول سرداب الغيبة: «اللهم صل على محمد وآله الذين فرضت علينا طاعتهم، وعرّفتنا بذلك منزلتهم، ففرّج عنّا بحقّهم فرجاً عاجلاً كلمح البصر أو هو أقرب من ذلك. يا محمد يا علي، يا علي يا محمد، انصراني فإنكما ناصراي، واكفياني فإنّكما كافياي، يا مولاي يا صاحب الزمان، الغوث الغوث الغوث، أدركني أدركني أدركني»[2].

وهكذا يلوذ العباد بإمام الزّمان -عليه السلام- ويستغيثون به في خلاصهم من الشّدائد، ومن ذلك قصّة أهل البحرين حيث خلّصهم الإمام -عليه السلام- من بطش السّلطان الذي توعّدهم بالقتل وأخذ الجزية، وهي قصة مفصّلة مذكورة في كتاب البحار وغيره[3].

يقول العلامة المجلسي -قدّس سره-: ومنها ما أخبرني به بعض الأفاضل الكرام والثّقات الأعلام، قال: أخبرني بعض من أثق به يرويه عمّن يثق به ويطريه، أنّه قال: لما كان بلدة البحرين تحت ولاية الافرنج جعلوا واليها رجلاً من المسلمين؛ ليكون أدعى إلى تعميرها وأصلح بحال أهلها، وكان هذا الوالي من النّواصب وله وزير أشدّ نصباً منه، يظهر العداوة لأهل البحرين لحبّهم لأهل البيت -عليهم السلام-، ويحتال في إهلاكهم وإضرارهم بكلّ حيلة.

فلمّا كان في بعض الأيّام دخل الوزير على الوالي وبيده رمانة فأعطاها الوالي، فإذا كان مكتوباً عليها: (لا إله إلا الله محمد رسول الله، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي خلفاء رسول الله)!. فتأمّل الوالي فرأى الكتابة من أصل الرمانة بحيث لا يحتمل عنده أن يكون من صناعة بشر، فتعجب من ذلك وقال للوزير: هذه آية بينة وحجة قوية على إبطال مذهب الرّافضة، فما رأيك في أهل البحرين؟.

فقال له: أصلحك الله، إنَّ هؤلاء جماعة متعصّبون ينكرون البراهين، وينبغي لك أن تحضرهم وتريهم هذه

---

(١) الكافي: ج١ ص٢٠٠.

(٢) المزار: ص٥٩١.

(٣) راجع بحار الأنوار: ج٥٢ ص١٧٨-١٨٠.

الرّمانة، فإن قبلوا ورجعوا إلى مذهبنا كان لك الثّواب الجزيل بذلك، وإن أبوا إلا المقام على ضلالتهم، فخيرهم بين ثلاث: إمّا أن يؤدّوا الجزية وهم صاغرون، أو يأتوا بجواب عن هذه الآية البيّنة التي لا محيص لهم عنها، أو تقتل رجالهم، وتسبي نساءهم وأولادهم، وتأخذ بالغنيمة أموالهم.

فاستحسن الوالي رأيه وأرسل إلى العلماء والأفاضل الأخيار والنّجباء والسّادة الأبرار من أهل البحرين وأحضرهم، وأراهم الرمانة وأخبرهم بما رأى فيهم إن لم يأتوا بجواب شاف من القتل والأسر وأخذ الأموال أو أخذ الجزية على وجه الصّغار كالكفّار.

فتحيّروا في أمرها ولم يقدروا على جواب، وتغيّرت وجوههم وارتعدت فرائصهم.

فقال كبراؤهم: أمهلنا أيّها الأمير ثلاثة أيام لعلّنا نأتيك بجواب ترتضيه وإلا فاحكم فينا ما شئت.

فأمهلهم فخرجوا من عنده خائفين مرعوبين متحيّرين. فاجتمعوا في مجلس وأجالوا الرّأي في ذلك، فاتّفق رأيهم على أن يختاروا من صلحاء البحرين وزهّادهم عشرة، ففعلوا ثم اختاروا من العشرة ثلاثة.

فقالوا لأحدهم: اخرج الليلة إلى الصّحراء واعبد الله فيها، واستغث بإمام زماننا -عليه السلام- وحجة الله علينا لعلّه يبيّن لك ما هو المخرج من هذه الدّاهية الدّهماء.

فخرج وبات طول ليلته متعبّداً خاشعاً داعياً باكياً يدعو الله، ويستغيث بالإمام -عليه السلام- حتى أصبح ولم يرَ شيئاً فأتاهم وأخبرهم. فبعثوا في الليلة الثانية الثاني منهم، فرجع كصاحبه ولم يأتهم بخبر، فازداد قلقهم وجزعهم. فأحضروا الثّالث وكان تقيّاً فاضلاً اسمه محمد بن عيسى، فخرج الليلة الثّالثة حافياً حاسر الرَّأس إلى الصحراء، وكانت ليلة مظلمة، فدعا وبكى وتوسّل إلى الله تعالى في خلاص هؤلاء المؤمنين، وكشف هذه البلية عنهم، واستغاث بصاحب الزمان.

فلما كان آخر الليل إذا هو برجل يخاطبه، ويقول: «يا محمد بن عيسى، ما لي أراك على هذه الحالة! ولماذا خرجت إلى هذه البرية؟!».

فقال له: أيّها الرّجل، دعني فإنّي خرجت لأمر عظيم وخطب جسيم لا أذكره إلاّ لإمامي، ولا أشكوه إلاّ إلى من يقدر على كشفه عني.

فقال: «يا محمد بن عيسى، أنا صاحب الأمر فاذكر حاجتك».

فقال: إن كنت هو فأنت تعلم قصّتي ولا تحتاج إلى أن أشرحها لك.

فقال له: «نعم خرجت لما دهمكم من أمر الرمانة، وما كتب عليها، وما أوعدكم الأمير به».

قال: فلما سمعت ذلك توجهت إليه وقلت له: نعم ـ يا مولاي ـ قد تعلم ما أصابنا، وأنت إمامنا وملاذنا، والقادر على كشفه عنا.

فقال (صلوات الله عليه): «يا محمد بن عيسى، إنَّ الوزير ـ لعنه الله ـ في داره شجرة رمان، فلما حملت تلك الشجرة صنع شيئاً من الطين على هيئة الرمانة، وجعلها نصفين وكتب في داخل كل نصف بعض تلك الكتابة، ثم وضعهما على الرمانة وشدهما عليها وهي صغيرة، فأثر فيها وصارت هكذا. فإذا مضيتم غداً إلى الوالي فقل له: جئتك بالجواب، ولكني لا أبديه إلا في دار الوزير، فإذا مضيتم إلى داره فانظر عن يمينك ترى فيها غرفة، فقل للوالي: لا أجيبك إلا في تلك الغرفة، وسيأبى الوزير عن ذلك وأنت بالغ في ذلك، ولا ترضَ إلا بصعودها، فإذا صعد فاصعد معه ولا تتركه وحده يتقدم عليك، فإذا دخلت الغرفة رأيت كوة فيها كيس أبيض، فانهض إليه وخذه فترى فيه تلك الطينة التي عملها لهذه الحيلة، ثم ضعها أمام الوالي وضع الرّمانة فيها لينكشف له جلية الحال.

وأيضاً يا محمد بن عيسى قل للوالي: إنّ لنا معجزة أخرى، وهي أنَّ هذه الرمانة ليس فيها إلا الرماد والدخان، وإن أردت صحة ذلك فأمر الوزير بكسرها، فإذا كسرها طار الرماد والدخان على وجهه ولحيته.

فلما سمع محمد بن عيسى ذلك من الإمام -عليه السلام- فرح فرحاً شديداً، وقبل بين يدي الإمام (صلوات الله عليه) وانصرف إلى أهله بالبشارة والسرور.

فلما أصبحوا مضوا إلى الوالي ففعل محمد بن عيسى كل ما أمره الإمام، وظهر كل ما أخبره، فالتفت الوالي إلى محمد بن عيسى وقال له: من أخبرك بهذا؟!.

فقال: إمام زماننا وحجة الله علينا.

فقال: «ومن إمامكم؟!».

فأخبره بالأئمة واحداً بعد واحد إلى أن انتهى صاحب الأمر (صلوات الله عليهم).

فقال الوالي: مدّ يدك، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الخليفة بعده بلا فصل أمير

المؤمنين علي -عليه السلام-.

ثم أقر بالأئمة إلى آخرهم -عليهم السلام- وحسن إيمانه، وأمر بقتل الوزير، واعتذر إلى أهل البحرين، وأحسن إليهم وأكرمهم.

قال: وهذه القصة مشهورة عند أهل البحرين، وقبر محمد بن عيسى عندهم معروف يزوره الناس.

١٠. سعة الرزق:

من بركات الإمام الحجة -عليه السلام- هي سعة الرّزق، وهذا ما تفيده العبارة التالية من دعاء النّدبة الشريف: «واجعل أرزاقنا به مبسوطة»[١].

بل إنّ الله عزّ وجل يجري أرزاق العباد على يد المعصوم -عليه السلام-. فعن أبي حمزة، قال: كنت عند علي بن الحسين -عليه السلام- وعصافير على الحائط قبالته يَصِحن.

فقال -عليه السلام-: «يا أبا حمزة، أتدري ما يقلن؟».

قال: «يتحدّثن أنّ لهنّ وقتاً يسألن فيه قوتهن. يا أبا حمزة، لا تنامنّ قبل طلوع الشمس فإنّي أكرهها لك؛ إنّ الله يقسّم في ذلك الوقت أرزاق العباد، وعلى أيدينا يجريها»[٢].

١١. الدعاء للموالين:

لا شك أنّ أهل البيت -عليهم السلام- يودّون شيعتهم ومحبيهم، ويدعون لهم، ويستغفرون لهم. ففي الحديث أنّ الإمام السّجاد -عليه السلام- قال لأم فروة بنت القاسم: «إنّي لأدعو لمذنبي شيعتنا في اليوم والليلة ألف مرّة»[٣].

ومرّ في حديث الإمام أمير المؤمنين-عليه السلام- أنّه قال: «إنّا لنفرح لفرحكم، ونحزن لحزنكم، ونمرض

---

(١) المزار: ص٥٨٤.

(٢) بصائر الدرجات: ص٣٤٣.

(٣) الكافي: ج١/ ص٤٧٢.

لمرضكم، وندعو لكم فتدعون فنؤمّن»[1].

وفي دعاء النّدبة نقول: «وامنن علينا برضاه، وهب لنا رأفته ورحمته ودعاءه وخيره، ما ننال به سعة من رحمتك»[2].

وعن ابن طاووس -رحمه الله-، أنّه سمع سَحَراً في السرداب عن صاحب الأمر -عليه السلام- أنه يقول: «أللهم إنّ شيعتنا خلقت من شعاع أنوارنا وبقية طينتنا، وقد فعلوا ذنوباً كثيرة اتكالاً على حبّنا وولايتنا، فإن كانت ذنوبهم بينك وبينهم فاصفح عنهم فقد رضينا، وما كان منها فيما بينهم فأصلح بينهم وقاص بها عن خمسنا، وأدخلهم الجنة، وزحزحهم عن النار، ولا تجمع بينهم وبين أعدائنا في سخطك»[3].

(١) بصائر الدرجات: ص٢٦٠.

(٢) المزار: ص٥٨٤.

(٣) بحار الأنوار: ج٥٣/ ص٣٠٢.

قال الله-تبارك وتعالى-

﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

سورة هود/ الآية:٨٦.

نفحات من الذاكرة

صباح حسن العكيلي

مجتمع كربلاء مجتمع تأصلت فيه كلُّ القيم الاجتماعية النبيلة، فيه نسبة عالية من العلماء، ورجال الدِّين، وأخلاقياته موروثة من الدِّين، والعشيرة، والبيوتات الكبرى، نحترم الكبير، ونعطف على الصغير، ولدينا حسن الجوار، وكرم الضِّيافة، والتَّواصي بالأمانة والصِّدق، والإخلاص بالعمل، والحفاظ على الجار، واستقبال الزائرين الكرام في كلِّ عام حتَّى أصبح المجتمع الكربلائي، علوي المثل، حسني الكرم، حسيني الطَّبع، وفي الوقت نفسه حاد المزاج لا يتهاون مع من يريد العبث بعاداته، ورموزه، ودينه، ومذهبه، وهو بعيد جداً عن البخل، ولا يدخل في حسابه تقديم الطعام والماء فهي مستمرة على مدى العام.

ولكن ما أذهلني عندما كنت أسمع بأنَّ الإمام الحسين-عليه السلام- قتل شهيداً وعطشاناً وأنَّ الطغاة الذين تمثَّلوا بيزيد، وأعوانه أبت إلَّا أن تقطع الماء على الإمام الحسين -عليه السلام- في كربلاء، أرض الجود والعطاء، وهذا شيء يثير الدهشة عند كلِّ شخص يحمل معاني الإنسانية، ولكن هذا الأمر تجدد على الحسينيين، وكأنَّما الله يريد أن يرينا من آياته ما كنا لا نعرفه.

هذا اليوم أقصد أول يوم من الانتفاضة هو أوَّل يوم يغلق شاطئ الفرات، ولم نسمع ذلك إلَّا في حالتين؛ في يوم عاشوراء، ويوم قامت قوات النظام بقطع نهر الفرات الذي هو الوحيد الذي يسقي مدينة كربلاء، ولأوَّل مرَّة في التَّاريخ يعطش مليون ونصف إنسان من هذا الرجل الشرير والذي يندى لأفعاله جبين الإنسانية، ماء كربلاء شرب منه كلُّ الأجناس، والقوميات، والطَّوائف ناهيك عن الحيوان من طير، ومجتر، ودارج، وزاحف، هذه شيء بسيط عن مجتمعنا، وأما موازين القوى المضادة لدى النظام، والتي لا يعرفها كلّ الشعب من ألويه لحماية بغداد، ومثل لواء العشرين المدرع، وقوات النخبة التي تحيط بقصر النظام والتي تجاوز الثلاث فرق،

وفيلق في الشمال على الحدود التركية العراقية وهو جيش احتياطي الفيلق السابع، وغيرها من مصادر القوة الموجودة عندها...

ومع وجود كلِّ هذه الإمكانيات وإذا بذلك اليوم التاريخي ٢/ ٣/ ١٩٩١م أعلن دوي الانتفاضة من محافظة البصرة، وفي نفس اليوم تهاوت محافظة تلو الأخرى، وفي يوم ملبّد بالغيوم وقبل صلاة الظهر بقليل أي في تمام الساعة (الحادية عشر) إنبلج الأعلان في محافظة كربلاء بين الحرمين الشريفين، وامتد الى كلِّ مناطق كربلاء، وإذا شباب، ومشيب، وأطفال، ونساء، كل الأعمار خرجت لتعلن أنّ مدينة الحزن قد ابتسمت ولأوَّل مرَّة منذ عقود، حيث اسقطت حاجز الخوف ببنادق (الكلاشنكوف)، وبعض قطع الأسلحة البسيطة، وقد نفذ أول هجوم على المنظمات الحزبية، والمواقع الأمنية، ومقر المخابرات لدائرة الوسط والجنوب في باب بغداد في الجهة اليمنى من شارع بغداد، حي العباس-عليه السلام-، وهو أصعب الدوائر التي كانت لديها أسلحة قناص، وتقع في وسط المدينة، ولكن بعد انقضاض أبطال الانتفاضة وسيطروا على الدبابات، والقاذفات، حتى احتدم القتال.

اليوم الثاني:

والنتيجة أُحرقت معظم الدَّبابات التي كانت مرابطة بين الحرمين، وفي مداخل المدينة ومخارجها، وبعد منتصف الليل بدأت قوّات النِّظام بالانسحاب من المدينة بشكل تدريجي، وما أن أصبح الصبح تمت السَّيطرة على المدينة بالكامل، وبهذه السَّاعات القليلة الممتزجة بالمحبة والمودة بين كلِّ المجاهدين، وكأنَّما بدأ التعارف لأوَّل مرَّة بدون أي سلطة أو مراقب، هذا منظر يشع بأنوار المحبة والإخاء، ويقابله منظر آخر في كلِّ الشَّوارع يعكس للناظر الأبنية والمقرَّات البعثية المهدمة، وقطع الأسلحة المنهارة، وتعلو مشاهد الفرح والبهجة على وجه النساء المشاركات، والشباب، وكل شرائح المجتمع.

تجمَّعنا في الصَّحن الحسيني والصحن العبَّاسي الشَّريفين؛ لتوزيع المهام التي لم تكن طبيعتها أوامر بالمعنى العسكري حيث ترى المجاهدين يتسابقون على المهام أينما يكون الواجب حتى وصل الأمر الى حدِّ المشاجرة بين المقاتلين لاندفاعهم نحو أي هدف، وقبل الظهر بقليل جاءت التوجيهات من النَّجف الأشرف من آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي-قدس سره الشريف- بعدم ترك البعثيين الذين حاربوا المجاهدين والمنتفضين

بالعراء، أي يجب دفنها، وبأسرع وقت ممكن، وقد تم تنفيذ هذه التوجيهات المباركة.

لقد كان ذلك اليوم ممتزجاً بين المجهول، والفرح المستعار إلَّا أننا كنا نتأمل الوصول إلى الهدف المنشود، وبانتظار سماع الخبر الفصل إلا إنَّ النظام كان قد وضع كلَّ قواته على مدينة الثورة(مدينة الصمود) من الأمن الخاص، والحرس الجمهوري، حيث سمعنا بعض من الوافدين بأن المدينة غير قادرة على التَّحرك؛ لأنَّ عليها ضغط أمني كبير، كما سمعنا بأنَّ بعض الشباب قاموا بحركة تندد بالنظام في المدينة قرب جامع الحسن-عليه السلام- وقد أجهز النِّظام عليهم.

اليوم الثالث:

كشَّر النظام عن أنياب الحقد، واستخدم سلاحه الأوَّل ألا وهو سلاح المدفعية من أطراف ناحية الاسكندرية مجاور مقام الخضر-عليه السلام- بمدى (٤٥كم) على المدينة برشقات متقطعة، وكأنَّها رسالة إلى المجاهدين مفادها انتظروا اليوم الأسود، وبنفس اليوم أصدرت قوات التَّحالف بمنع الطيران على خطي العرض(٣٦ و٣٢)، في مناطق الوسط والجنوب، وهذا الأمر سبب إضافة شيء من الثِّقة لدى المجاهدين، فعدم وجود الطيران في المعركة تعد نقطة قوة للانتفاضة، إلَّا أنَّ الشيطان الأكبر أعطى جرعه مسمومة نقلت قوات التَّحالف التي كانت متمركزة في محافظة الناصرية إلى محافظة دهوك وحماية الأكراد من شياطين مجاهدي خلق الذين قاتلوا مع النظام، وكانوا مجهزين بأسلحة ثقيلة، وقد كانت هذه الفبركة ما هي إلَّا إعطاء رسالة للنظام عليك بسحب الفيلق السابع بعد أن التقى قائد التَّحالف المسؤول مع قائد الفيلق، وأخبر القيادة في بغداد بأنَّ الأمريكان طلبوا من قائد الفيلق بالانسحاب، وهذه رسالة واضحة لدخول هذا الفيلق، وقمع الانتفاضة، فبدأ الطيران بالمشاركة في المعركة، بعد ذلك قام النظام بارسال المقبور (علي حسن المجيد)، وقام برمي منشورات من الطائرات تحذر من المشاركة في الانتفاضة، وفي نفس تلك الحقبة الزمنية وزعت منشورات أخرى من جهات ضد النظام البائد، وبعد مرور أكثر من ساعة وإذا بصواريخ سقطت على جموع الموجودين وتمزقت أجسامهم إلى أشلاء، وإذا بتلك الجموع بين شهيد وجريح حتَّى ضجَّت المستشفيات، والوحدات الطِّبية المتمركزة في الصَّحن الحسيني المقدَّس حيث لا يوجد علاج، ولا دواء، كما أنَّ التقنيات الصحية في داخل الصحن الشريف متأخرة جداً عن التقدم العلمي.

اليوم الرابع:

كان الحال أسوء حيث وصلت قوَّات النِّظام على مشارف مدينة كربلاء المقدسة، ودارت معارك في ثلاثة محاور؛ حي العباس-عليه السلام-، شارع بغداد، وطريق الحر-عليه السلام-، وطوقت المحافظة من ثلاث جهات، كما توغلت قوَّات النِّظام في منطقة المحاويل عن طريق أراضي وبساتين بعض تلك المناطق.

وفي نفس اليوم كان هناك قصف مستمر من الصَّباح وحتَّى المساء، وكنَّا نصعد فوق السطوح نشاهد المدينة عبارة عن مداخن في كلِّ أرجائها.

اليوم الخامس:

بدأت قوَّات النظام بالزَّحف على مشارف المحافظة، وكلَّما كان يتقدم يصطدم بمواجهة شديدة من المجاهدين ثم ينسحب في الليل، وقد دارت في مثل هذا اليوم معارك دامية على مشارف المدينة، وبين البساتين التي أصبحت نقطة قوَّة لصالح القوات المدافعة؛ لأن كثافة النخيل والأشجار ونصب الكمائن بين الأشجار وعلى الأشجار جعل قوات النظام غير قادره على المواجهة، وفي مدينة العباس طوقت سرية من قوَّات النِّظام وأسروا، وكان من بينهم ضابط برتبة نقيب، ووضعهم في جامع حي العبَّاس كأسرى، أمَّا منطقة الحر-عليه السلام- كانوا من رجال المقاومة الذين غيروا مجرى المعارك في ذلك اليوم حيث تمَّ أسر اللواء الـ(٣٨) للفرقة الـ(٤٥) وأما في المنطقة الصحراوية الذي تمكن النظام من التَّوغل، والوصول الى شارع العباس-عليه السلام- وأطبقت عليه القوى من رجال العبَّاسية الشرقية والغربية بالانقضاض، وتحطيم الآلة العسكرية بأكملها، وقتل من فيها بقاذفات (الأربي جي سفن) إلى أن أمسى المساء ساد الهدوء في ضواحي المدينة إلَّا أنَّ القصف الجوي والمدفعي المتمركز في منطقة الرزازة، وما وراء مدينة الحر مستمر حتَّى الصَّباح.

اليوم السادس:

احتدمت المعارك في المحاور الثَّلاثة بهجوم مكثَّف في العدة والعدد ، ولكن بطولات المجاهدين أذهلت العدو ، وتم أسر بعض قوَّاته المتمركزة في شارع بغداد، كما أنَّ الشَّباب المقاومين من أهالي منطقة باب الخان، باب بغداد، وباب السلالمة وباب الطَّاق والمخيم كانوا قد أجهزوا على قوَّات النظام، وكانت المعارك شرسة جداً لدرجة لو لم يكن تحت وابل القصف من قبل النظام والمدفعية التي خلفت أكواماً من ركام البنايات؛ لتمكّن

المجاهدون من إدارة المعركة لصالحهم، وعلى الرغم من ذلك عجز النظام أن يدخل المدينة بسبب ثبات الرجال الأشاوس من منطقة حي العامل، وحي المعلمين، وحي البعث، وحي الحر، ورجال عشيرة اليسار الذين واجهوا النِّظام بكلِّ شجاعة ورجولة جهادية، أمَّا الجهة الثالثة فقد تمركز المجاهدون في حي الأسرة، وسيف سعد، وحي الحسين وصولاً إلى حي الملحق وحي البهادلية، وأقولها بصراحة كانوا طوداً شامخاً لمقاتلة هذا الشيطان، ومن ضمن الأسرى كان جندي من أهالي الحلة برتبة نائب ضابط في قاعدة الحبانية، وبدأنا التَّحقيق معه معتذراً بعدما سمع بأنَّ الذين أسروه كانوا يتكلمون اللهجة العراقية، فبدأ يبكي، ويندب حظه العاثر، وقلنا له لماذا تبكي؟

قال: والله لم أكن أعرف أيَّ شيء حيث كنا محجوزين في القاعدة، وأنا أعمل في مجال الطَّيران السمتي، وقد كلفني آمر القاعدة بأن أضع غاز الخردل بنسبة (١٠٪)، والسبب كما زعموا أن إيرانيين دخلوا كربلاء، وعليه جاء الأمر من صدام أن نضع، وأتفقنا أنا والآمر، وبعض الضّباط على أن نضع حاويات هذا السلاح المحرَّم دولياً والمدمّر بنسبة(٣٠٪) وكان بتشجيع من آمر القاعدة حيث قال: سوف ننتهي منه خلال ساعات وتذهبوا بإجازة لمدة شهر، وكان هذا حافزاً، ودافعاً لنا.

نعم هكذا كان النظام يلعب بعقول المجتمع، وقد أقسم هذا الرجل على هذه الإفادة فشكرناه لأنه غرر به، كما أنَّه أكَّد لنا أنَّه سوف يبقى معنا يقاتل النَّظام.

اليوم السابع:

وفي تمام السَّاعة التَّاسعة صباحاً حدث هجوم بري، وطيران محمل بغاز الخردل، وأول قاذفة أسقطها النظام في منطقة بابا الخان مجاور مدرسة الشَّريف الرَّضي-رحمه الله-؛ لكثرة ما واجهه النظام من مقاومة في هذه المنطقة، وفي المخيم وفي حي العباس والطيران يجوب العراق شرقاً وغرباً، ولكن الصَّمت الدُّولي كان مطبقاً على هذه المجازر الذي ارتكبت من قبل النظام.

اليوم الثامن:

في مثل هذا اليوم المشرق أصبح لدى النظام عقدة الدُّخول إلى كربلاء، والسَّيطرة عليها، كما حاول جاهداً أن يدخل مدينة الحلة، وقد تمكن من الاختراق، والوصول على مشارف محافظة الدِّيوانية، وقد كان القصف شديداً في ذلك اليوم، وقد تمكن المجاهدون من أسر شخص يدعى (كاكا إبراهيم)، من أهالي محافظة السليمانية، وبعد

التَّحقيق معه أخبرنا أنَّه منتسب في وحدة مضادات الطائرات في منطقة الرزازة كما أخبرنا بوجود صواريخ(أرض أرض) في المعسكر السري، وأنه أحد حراس تلك المخازن ثم أردف قائلاً: كلّ من كان في هذا المعسكر انتابه الخوف، ولم يبق أي أحد في المعسكر لذا طلب أن نذهب معه؛ لكي يطلعنا على ما أفاد به، وتمَّ تشكيل مجموعة للذهاب مع توخي الحذر واليقظة، إذ تصورنا أنَّه ممكن أن يكون مخادعاً أو يريد أن يوقع بمجموعة لدى قوات النظام، وبعد أن أدلى بجميع أقواله ذهبنا معه؛ لكي نتحقق من صحّة كلامه، وما أن وصلنا إلى الموقع حتى ظهر صدق قول هذا الشاب الذي أحبه كلُّ من تكلَّم معه، فهو يحمل طباعاً بين اللامبالات والابتسامه الدَّائمة، وكلامه المتقطع بلغة عربية لا يوجد فيها مؤنث ومذكر أي لغة (مكسرة)، وفعلاً كان الطريق الذي وصفه بين الرَّزازة والأخيضر مسقف بألواح إسمنتية، ومرتكزات حديدية مغطى ومخبأ.

فأسدلنا القماش من نوع (جتري) عن الصَّواريخ الثَّلاثة، وبجانبه آلة حاسبة مكوَّنة من صندوق له أربع أرجل مقفل في الزَّاوية اليمنى منه، أشبه بحاسبة صغيرة، وفي وقتها لم نكن نعرف الرقم السري حتى نتمكن من فتحه، لذا قال أحد المجاهدين: الأفضل أن لا نعبث به؛ لأنَّه قد ينفجر، وبعد الرجوع من الموقع طلب منَّا الأخ إبراهيم أن نسلمه سلاح (اس بي جي ناين) خاص بمقاومة الطَّائرات الدِّرع.

وفي تمام السَّاعة الواحدة ظهرا ظهرت المروحيات تجوب سماء كربلاء، والحمد لله -تعالى- فقد استطاع الأخ إبراهيم اسقاط واحدة منها، وظهرت الفرحة على كلِّ المجاهدين بين تكبير وصلاة على محمد وآل محمد وساد لدينا اعتقاد بأنَّ هذا السلاح يجب أن ينقل إلى ما بين الحرمين؛ لحماية الحرمين الشريفين، وعدم التعدي عليهما، وفي الليل وفي تمام السَّاعة الحادية عشر دخلت مجاميع من بعض المحافظات من الحلَّة، والديوانية، والسماوة وأخبرونا بأنَّ قوات النظام قد وصلت الى الناصرية، وفيها مقاومة شديدة، وقد أخذ القصف والطيران مفعوله على هذه المحافظة.

اليوم التاسع:

بدأ الطعام ينفذ من كلِّ البيوت إلَّا التمور التي زوَّدنا بها أهل قضاء طويريج التي انجبت العديد من الرجال

الأبطال الأفذاذ اللذين لا يعرفون الانسحاب، ولا أنس تلك الوقفة التي قامت بها تلك العوائل الكريمة حيث احتضنت العوائل التي خرجت من كربلاء، وشاركوهم في آخر لقمة خبز، لقد كانت هذه المدينة سداً متقدماً لحماية كربلاء المقدسة، والحفاظ على كلِّ من لم يقدر على مقاومة القصف العشوائي.

في صبيحة هذا اليوم اشتد الحصار على المدينة من الجهات الثَّلاث مما جعل قوَّات النِّظام تسعى لدخول المدينة بتوجس وحذر، ومن هنا تمَّت المواجهة الفعلية، ودارت معارك عنيفة في منطقة حي العباس، وتم أسر العديد من الجيش الصدامي، ولا يفوتني ونحن نتكلم عن بطولات المشاركين في تلك الانتفاضة أن أذكر رجال العشائر الكريمة المرابطة في منطقة العطيشي والحسينية (الجرية) طيلة تلك الأيام المنصرمة حيث لم يتمكن النظام من دخول هذه المناطق المزدحمة بسبب كثافة النخيل والبساتين التي قد تكون مهلكة للنظام اذا دخلها، وجرَّب حظه العاثر. لقد كانت المعارك درساً قاسياً لقوات النظام البائد من الحرس الجمهوري.

لقد تذكرت في تلك السَّاعات ما قرأت في التَّاريخ عن الهجوم عام ١٨٨١م على كربلاء من قبل الوهابية النواصب الذي أدَّى إلى قتل أكثر من (٥ آلاف) إنسان، وتعرضت كربلاء إلى نهب وغصب، وتدمير لم يترك أخضراً ولا يابساً.

إنَّها حروب، ودروس مستمرة على كربلاء، تلك المواقف والصور المروعة سوف تبقى مسمار يدق في خيال كل انسان لديه ولو مقدار قليل من المشاعر الإنسانية.

في تلك الساعات حاولت أن أنظر إلى المدينة، وكأنَّها شبه مفتوحة، ومتصلة بمناظر كونية عظيمة، وأخذني تفكيري أن أثبت تاريخ، وجغرافية هذه المواقع بأزقتها، وبيوتها القديمة، وأستغل كلَّ ثانية تمر بحدث ذهني مليء بالنشاط دون ملل أو كلل بالرغم مما يراودك من الأخطار التي تدور في المخيلة، وتتزاحم من كثرتها فتخلق ضجة في الصدر إذ لا وجود لأي رحمة من كثرة الأهوال التي تشاهدها، هناك صور لم تحصل عليها حتى في الخيال، وإذا كنت تريد أن تصدق من يتكلم عندئذ ستفقد الشعور باللاوجود، فعليك أن تعيد حالك، وتعرف أين تقف من هذه الحياة.

وتعال معي لتشاهد في شارع السدرة، ومقابل جامع الشيخ خلف امرأة تسعى بين الشارع العام، وزقاق منطقة (العجيسة) قد تجاوزت الستين، باكية، صارخة، ومهرولة ذهاباً وايابا في حالة ذهول، وهي تقول:

أرجوكم (يا أهل الرحم ساعدوني، الله يحفظكم فأردت الحديث معها لم افهم سوى البيت البيت البيت ماذا في البيت تفضلي معي يا أمي لكي أساعدك زوجي زوجي ماذا؟)

فتبعتها وعند دخولي الى الدار واذا بزوجها الأعمى شهيداً قد فارقت روحه الدنيا والدماء مع التراب امتزجت على جسده كله ورددت: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون وقلت: وماذا تريدين مني أن افعل؟

فقالت: أريد أن تساعدني على حمله، ودفنه فقلت لها: إن شاء الله سأفعل ولكن أتعلمين أنَّ الطرق مقطوعة، والقصف لم يتوقف ولو ساعة، ووسائل النقل غير متوفرة، والرجل لا يمكن حمل جسمه؛ لأنَّ جسده مهشم، وقد تشتت أعضائه، فكيف أحمله، وإذا بها غابت عن الوعي، ولم تتكلم معي ابداً، وانسحبت لعدم وجود أيَّ إمكانية لهذا العمل .

بدأنا بعد ذلك نفكر بجدية حول الوضع العام هل يمكن البقاء على هذا الحال أو نتسرب من المعركة والتي كانت على أشدها، إذ استطاع المجاهدون أسر الآلاف حتَّى امتلأ الصحن الحسيني الشريف وأكثرهم من مناطق سنجار والموصل ومن بينهم قادتهم برتب عالية، وهذا بدوره أسهم في نفاذ كافة المواد الغذائية، وبعدما تأكد الأسارى أنَّهم في مأمن للاحترام، والأخلاق التي كان يتعامل بها المجاهدون، ولذلك طلب الكثير منهم القتال وأن ينضموا إلى جانب الانتفاضة، ففكرنا أنَّ تسليمهم السلاح قد يسبب الكثير من المتاعب، وقد تكون له أبعاد لا تحمل عقباها.

اليوم العاشر:

هاجسنا أنَّ النّظام ماكر ومحتال، وكل شيء داخل ضمن قاعدة الغاية تبرر الوسيلة؛ قررنا أن نطلق سراح الأسارى وبتعهّد شفهي أن لا ينخرطوا في القتال مع النّظام حتى أرخى الليل سدوله وسلكوا طريق النجف-بابل، إذ هناك وحدات عسكرية فيها ثغرات تمكنا من خلالها التوجه بهم الى المقصد، وكان الطريق سالكاً لبعض الفلاحين في طريق البساتين وبقينا يوماً كاملاً من الصباح وحتى بعد منتصف الليل، وأعطينا لبعضهم ملابس مدنية بالية بسبب قلة الملابس في ذلك الوقت؛ نظراً لظروف الحصار الذي مرَّ به العراق، وأصبحت المدينة فارغة من كل مظاهر الحاجة في تلك المرحلة، فالكهرباء معدوم والماء قد احتكره النظام حتى أغلق نهر الفرات وأصبح أشبه بساتر أو خط دفاعي، ولا يمكن دخول المدرعات إلينا إلا من خلال الطّرق الرئيسية، أما الوقود فلم

نستطع الحصول عليه بسبب محاصرة النظام والقصف المستمر، وفي اليوم نفسه جاء شخص متسلّل عن طريق المسيب السّدّة مع نهر الحسينية، فناديناه ووجهنا له بعض الأسئلة التي يمكن الاستفادة من أجوبتها، وادّعى أنّه من سكنة كربلاء المقدسة وهرب من الوحدة العسكرية المرتبطة في كركوك، ويريد أن يعرف عن أهله، وكان متذمّراً من الوضع الذي فيه، ونقل لنا أخباراً غير سارّه بأنَّ بغداد فيها قوات منتشرة في كل جانب، وبقي يومان لعبور بغداد مستصحباً معه إجازة مزوّرة، ثم نقل لنا صورة عن القوّات الصدامية وتمركزها في منطقة (الحصوة، والمفرق، والاسكندريّة) منتشرة فيها الدّروع، والعجلات، وزج نفسه مع هذه القوات مدّعياً بأنه مجاز، ويريد توقيعاً من أمر الوحدة، وهذه حجة لم تنطوي على أزلام النّظام، ويعرفون أعذار ومكر الجنود .

اليوم الحادي عشر:

جاءنا شخص لا نعرفه وأخبرنا بأنَّ هناك مجزرة في الوادي الجديد، ونحتاج لمساعدتكم، وكانت برفقتنا إحدى فرق الإسعافات الأولية وعبرنا البساتين ونهر الفرات، فكان كلُّ شيء في ذلك اليوم خاوٍ حتى الشّجر قد جفّ والنباتات يبست، والجثث مرميّة هنا وهناك.

والقصف مستمر، وبعد ساعتين وصلنا المقبرة وإذا بطفلين فقط نجيا من قصف الطّائرات(السمتية) وأشلاء الجثث كثيرة لا تُعد فهم أكثر من ٢٥ عائلة غادرت المدينة على أمل أن يكون الوادي خير ملجأ، وهذهِ قد تكون فكرة مقبولة لدى الناس البسطاء لكن المجرم لا يحتاج الى هذه البساطة، فقد دفنوا جميعاً وهم مخضبون بالدّماء.

كما شاهد شخص قادة لم يتعرف عليهم إلا عندما اقتربوا من المركز وفيهم جمع من قوات الحرس الجمهوري وبلباسهم المعروف وعاداتهم وعددهم الذي ملأ الشّوارع الرئيسية وكانوا مستعدين الى هجومهم النّهائي ومن خلال هذه الرسالة تم تشكيل دوريات على كل المناطق والسيطرات والمعابر، وتبليغ المجاهدين بأنّ علينا الاستعداد لهجوم محتمل، لذا أصبحنا في حالة تأهّب قصوى ونحن نمر بالمدينة ليلاً او نهاراً، وقد أصبحت المدينة مدينة أشباح فجثث الموتى مرمية ومقطعة، فذلك منظر يقشعرّ له البدن، وأصوات الدعاء تُسمع من كلّ بيت، وقراءة القرآن عبر مكبّرات الصوت اليدوية.

وجردت المدينة من كلِّ شيء لا ترى سوى النيران وألسنة اللهب نتيجة القصف العشوائي الذي لم يرحم حتى حمام الحضرة لم يسلم من الموت، فالأسواق هدّمت كذلك، فهذه المدينة التي لم يطرأ عليها تغير منذ زمن

طويل والأسواق فقد أنشئت أغلبها في القرن الثامن عشر والتاسع عشر فالبيوت مبنية من الآجر والجبس، والأبواب القديمة، والمكتبات، والمقاهي التراثية، وسوق الحسين-عليه السلام- المسقّف بصفائح الحديد والخشب، فقد انهار أغلبها جراء القصف العشوائي.

اليوم الثاني عشر :

وفي تمام السَّاعة الرابعة صباحاً، وإذا بأصوات تنادي تستغيث بأنَّ شارع باب الشهداء الى منطقة السعدية، ومن ثمَّ إلى حي المعلمين وصولاً إلى مرقد الحر-عليه السلام- قد توغل الحرس الجمهوري بقوة تقدر بالآلاف مع الدَّبابات، والمدرعات، والأسلحة الأخرى وقد تمكنوا من الوصول إلى تل الزينبية في تمام الساعة ١٢ ظهراً، ثمَّ دارت معارك شرسة انسحبت خلالها القوات المعادية تجر أذيال الخزي، والعار، وفي تمام السَّاعة الثَّالثة حدث اختراق آخر من جنوب غربي كربلاء المقدسة وصولاً إلى شارع العباس -عليه السلام-، وفي نفس الوقت توغل أحد الألوية، ولكن تمَّ صدُّ الهجوم، ودمرت ٣ دبابات، و٦ مدرعات، وقتل عدد كبير منهم، وجرح الكثير منهم، وانسحبت قواتهم من شارع باب القبلة، وتمَّ الاستيلاء على أسلحة كثيرة من قاذفات، وأسلحة رشاش، بعد ذلك وفي تمام الساعة السابعة اشتد القصف، وسمعنا حينها من مصادر البث أحد قادة القيادة العامة يتحدث لرأس النِّظام البائد أنَّ كربلاء سوف نعالجها اليوم أو غد، ثمَّ وصل إلى مسامعنا خبر أنَّ مدينة البصرة أجهز عليها، وقد دكت بالمدفعية.

وفي هذا اليوم بالتَّحديد أعلنت قوَّات التَّحالف بإشارة إلى رأس النِّظام بأن لا تحلق أيّ طائرة على مناطق الجنوب، والوسط، والشّمال، بعد أن قتل النظام أكثر من ربع مليون مواطن عراقي بكلِّ أشكال القتل، وما إن أصبح الصَّباح بدأنا نشعر بغربة المكان وأصبح التنقل سريعاً من مكان إلى مكان، وإذا بقوَّات النِّظام دخلوا عن طريق باب بغداد، ومعهم حسين كامل حيث اشتدت المقاومة حتى اليوم الثاني، إذ كانت مواجهات ضارية ومباشرة، حتى وصل القتال بالحراب، وتمَّ أسر ما يقارب ثلاثين جندياً في المكان المؤدي الى فرع مضيف الشيخ عبد الحسين كمونة، ولم يؤذى أو يقتل أي أحدٍ منهم؛ لأنَّ أخلاقنا لا تسمح لنا بقتل الأسير، ثمَّ خرجنا من كربلاء بطريقة التخفي بالزي العسكري وما جن ليل يوم ١٤-١٥ حتى دخلنا الصحن الحسيني من باب الزينبية فوجدنا الجثث المطروحة في الحرم الحسيني وقد غطت الأرض بالدماء جرَّاء القصف المستمر على مدى

كل هذه الأيام العصيبة، وفي تمام الساعة الثانية عشرة ليلاً تسلّلنا إلى منطقة عكد السادة ومنه الى فرع الرابع ثمَّ الى كف العبَّاس الأيمن -عليه السلام- ومنها الى باب الخان، وعند دخولنا شارع المحيط اوقفونا بعض الجنود، وسألونا عن وجهتنا فأجاب أحدنا: بأننا مكلفون بواجب في شارع باب بغداد القديم، وفي منطقة (بليبل) عبرنا البساتين حتَّى وصلنا منطقة السدة بين طويريج والمسيب وما إن أصبح الصبح تفرقنا بعد أن تعانقنا، وبكينا، واعتقدنا بأننا لن نرَ كربلاء مجدداً، وكانت تلك اللحظات أصعب ما مرَّ بنا، إنَّها لحظات الفراق عن الإمام الحسين-عليه السلام-، والحسينيين....

قال الإمام الحسين (عليه السلام)

"أيها الناس قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباده بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله".

تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٩٤.

قال -تعالى-:

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)

سورة البقرة: ١٨٥

شهر رمضان

الصوم مدرسة التّقوى

دروس من حياة الإمام الحسن المجتبى –عليه السلام–

ليلة القدر الليلة المباركة

العيـد والجوائز الإلهية

الصوم مدرسة التّقوى

الشيخ أحمد الكربلائي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى في كتابه الحكيم:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[1]

صدق الله العلي العظيم .

يوم الشّك والاستهلال

من النَّاحية الفقهيّة يُقال لليوم الذي لا نعلم أنَّه آخر شهر شعبان أو أوّل شهر رمضان بأنَّه يوم الشَّك، فهل يجب علينا أن نصوم هذا اليوم؟

الإجابة؛ كلَّا، فإذا لم يثبت الهلال ليلة يوم الشّك لا يجب الصوم فيه؟ لأنّ عندنا قاعدة فقهية في مختلف أبواب الفقه، وهي قاعدة نافعة، تقول: (لا تنقض اليقين بالشَّك)، أمّا إذا كان هناك يقين متقدّم، وهنالك شكّ لاحق فما هو العمل؟

يجب العمل طبق اليقين المتقدّم، فنحن عندنا يقين بأنَّ يوم الجمعة – مثلاً– هو ضمن شهر شعبان، ونشكّ في نهاية هذا الشهر، فلا تنقض اليقين بالشّك، إذن نحكم على يوم الجمعة بأنَّه من شهر شعبان، وذلك بناءً على هذه القاعدة، وعلى روايات أخرى واردة في هذا الباب، فلا يجب الصّيام ولكن الصيام أفضل.

وتفصيل المسألة: "إذا صام يوم الشّك بنيّة شعبان ندباً أو قضاءً أو نذراً أجزأ عن شهر رمضان إن كان، وإذا تبيّن أنَّه من شهر رمضان قبل الزّوال أو بعده جدَّد النّية، وإن صامه بنيَّة شهر رمضان بطل، وأما إن صامه بنيّة

---

١ – سورة البقرة : ١٨٣ .

الأمر الواقعي المتوجه إليه ـ إما الوجوبي أو الندبي ـ حكم بصحَّته، وإن صامه على أنَّه إن كان من شعبان كان ندباً وإن كان من

شهر رمضان كان وجوباً صحّ أيضاً، وإذا أصبح فيه ناوياً للإفطار فتبيّن أنَّه من شهر رمضان جرى عليه التّفصيل المتقدِّم في المسألة السَّابقة"[1].

قيمة التَّقوى

بالعودة إلى الآية الكريمة التي صدَّرنا بها الحديث: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)**، يتبين بدايةً إنَّ التَّشريعات الإلهية على نوعين:

النَّوع الأوَّل: التَّشريعات المتحركة، وهي خاصة بأمَّة دون أخرى، أو بمجتمع دون آخر، مثلاً؛ كانت معظم الشُّحوم محرَّمة على اليهود، ولكن عندما جاء عيسى المسيح (صلوات الله وسلامه عليه) قال: (ولأحُلّ لكم بعض الذي حُرّم عليكم)[2]، فحلّل بعض الأشياء التي كانت محرّمة على اليهود.

النَّوع الثَّاني: التَّشريعات الثّابتة، وهي لا تختص بأمّة دون غيرها، ولا بمجتمع دون آخر، وإنَّما كانت منذ القدم، وستبقى إلى النّهاية، فالخمر محرّم في كلِّ الشَّرائع الإلهية، وهذا تشريع ثابت، وليس هنالك شريعة إلهية تحكم بحلّيّة الخمر، أمَّا ما يقوله المسيحيون بأنَّ المسيح سقى أصحابه الخمر! فهذا كذب وافتراء، وهم اليوم يشربون الخمر في أعياد الميلاد، اقتداءً بالمسيح المزعوم! إنَّ الخمر محرّمة في كلّ الشّرائع الإلهية، من آدم إلى الخاتم- صلى الله عليه وآله-.

لكن لماذا هذا التّنوّع ؟ ولماذا هنالك تشريعات ثابتة، وأخرى متحرّكة؟

إنَّ التَّشريعات ترتبط بإحدى القيم، فإذا كانت القيمة ثابتة يكون التَّشريع ثابتاً، أمّا إذا كانت القيمة متحرّكة فإنَّ التّشريع يكون متحرّكاً، وهذه الآية الكريمة تبيّن أنَّ الصّيام - وكما يظهر لعلَّه من هذه الآية - من التَّشريعات الثّابتة، **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ)**، ولعلَّه يظهر من كلمة الذين من قبلكم، أنَّ الله -تعالى- كتب الصّيام وفرضه على جميع الأمم المتقدّمة، وكلمة (الذين) تدل على العموم، كما تدل على الشُّمول، وهذا ما يؤكّده بعض المؤلفين أيضاً، كما تؤكّده بعض المصادر، على إنَّه ما من أمَّة وشريعة

١- منهاج الصالحين/ سماحة السيد السيستاني-دام ظله-/ ص ٥٢١.

٢- سورة آل عمران : ٥٠ .

وملّة من الملل إلّا وكتب الله -تعالى- عليهم الصّيام (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ)، وبالإمكان مراجعة الأناجيل الفعلية وهي محرّفة، تجدون فيها الصّيام، وجاء بأنّ المسيح صام أربعين يوماً[1]، كما كان حواريو المسيح يصومون أيضاً، وأيضاً يمكن مراجعة التّوراة الفعلية، وفيها إنَّ اليهود يصومون أيضاً، وإنَّ موسى -عليه السلام- عندما ذهب إلى الجبل صام أربعين يوماً[2]، إذن؛ فإنَّ التَّشريع الثَّابت يحتاج إلى قيمة ثابتة، لكن لماذا هذا التَّشريع الثّابت؟ ولماذا كُتب عليكم الصّيام وكُتب على الذين من قبلكم؟

هذا التَّشريع يرتبط بقيمة مهمَّة وبهدف ينبغي أن يسعى نحوه الصَّائم، ألا وهو التَّقوى، والكفّ عن المحرّمات، فذلك الذي يأتي الى البيت ويجد الطعام والماء البارد أمامه وهو جائع وعطشان، ولاسيما إذا كان من الذين يعملون تحت الشّمس اللاهبة - فيما نحن نعيش غالباً في نعمة ورفاه- ولا رقيب عليه، لكن أمر الله يردعه عن تناول الطَّعام والشَّراب، أو أن يدخل الصّائم إلى البيت ويرى زوجته، وهو يشعر بالحاجة، ولكن أمر الله يمنعه عن ذلك؛ لأنَّ الاقتراب من الزّوجة محرم من النّاحية الشرعية، بالتفصيل المذكور في الكتب الفقهية، أو ربما يريد أن يتكلَّم في مكان عام - مثلاً- في المضيف وهو الذي أصبح -للأسف- من الأمور المتداولة بيننا فقد يأتي شخص ويُدلي برأيه في مسألة شرعية تُطرح، ومن المعروف أنَّنا لا نتمكّن ولا نجد من حقّنا التّدخّل في قضايا تُطرح في المضيف بخصوص الطب، أو قد يأتي مريض الى إنسان ليس بطبيب، هل يسمح هذا الإنسان لنفسه بعلاجه وهو ليس بطبيب، بينما في القضايا الشّرعيّة نجد كلّ واحد يدلي برأيه، فيقول بحرمة هذا وحلّيّة ذاك دون وجود إثبات شرعي، وهذا هو الكذب على الله وعلى رسول الله وعلى أنبياء الله، وغير صحيح من النَّاحية الشَّرعيّة.

الإفتاء دون علم... كذبٌ على الله ورسوله

يحصل في كثير من الأحيان أن يدور نقاش في قضايا دينية، فيبدأ كلّ واحد يقول رأيه ويفتي دون ضوابط أو مجوّز شرعي، وهذا يحصل في بقيّة الأمور، فالحلال لابد أن يكون له دليل، كما أنَّ الحرام أيضاً لابد أن يكون بدليل: (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب)[3]، فإذا سئل الإنسان عن معادلات الفيزياء أو الكيمياء، هل

١ - التوحيد والتثليث : محمد جواد البلاغي : ص ٨٣ .
٢ - تفسير الآلوسي : ج ٩ ، ص ٧١ .
٣- سورة يونس : ٦٠ .

يدلي برأيه؟ بالطَّبع كلّا، أو سُئل عن نظريات (إنشتاين)[1]، إذا كان لا يعرف فعليه أن يقول لا أعرف، (ولا يستحينّ أحدكم إذا سُئل عمّا لا يعلم أن يقول لا أعلم)[2]، فإذن ليس بالضرورة لرجل الدين أن يعلم كل شيء، فالمسائل بالملايين، وربما يجهل الإنسان كثيراً من المسائل، وإذن فإنَّ التّدخّل في المسائل الشَّرعية والإفتاء بغير علم في شهر رمضان المبارك، محرَّم من النَّاحية الشَّرعيّة، ويُعد كذباً على الله وهو مبطل للصيام.

من هنا على الإنسان إذا أراد أن يتكلَّم، يقول: أنا صائم ولا يتكلّم، فيكفّ نفسه، ومن خلال التّكرار الواعي للكف قبل اقتحام العمل، مرّة ومرّتين وثلاث مرّات، فهذا يؤدِّي تدريجياً بالإنسان – إذا كان منتبهاً على نفسه وواعياً – إلى التقوى، تصبح عنده تقوى كلّيّة، وإذا توفَّرت هذه الملكة في الإنسان، فإنَّه حقّاً سيُسعد في دنياه، وفي آخرته.

إنَّ للتقوى فروعاً وشُعباً، من أصعبها والتي تلازم الإنسان إلى آخر حياته، هي تقوى المال، فهنالك بعض أنواع التقوى متعلّقة بالشّهوة الجنسيّة، وهي تقوى مهمّة، لما لها من هيجان، ولكن لها فترة محددة، فإذا طعن الإنسان في العمر، ستذبُل عنده هذه الشّهوة، كما إنَّ الكثير من الشَّهوات غير موجودة عند الكثيرين، مثل شهوة الملك – مثلاً – إذ كثير من الناس لا توجد عنده شهوة الملك وأن يكون ملكاً أن يكون حاكماً أو وزيراً أو أن يكون نائباً، بينما يبقى المال معلّقاً بقلب الإنسان، لذا يجب ألَّا يكون في ذمّة الإنسان درهمٌ أو دينارٌ واحدٌ، فالعطاء ليس مهمّاً، إنَّما المهم أن يعطي المال كما أراده الله –تعالى–، فقد يفعل الإنسان المستحبّات، ولكنه لا يخمّس، فإنَّ ذلك العمل مرفوض من قبل الله –سبحانه وتعالى–، وقد قال الشيطان لله –سبحانه وتعالى–: أنا أعبدك كما تريد، ولكن لا أسجد لآدم، فقال له الله: أريد أن أُعبد كما آمر، وكما أُحب[3]، فأن يعطي الإنسان أمواله للمستحبات فهو عمل جيّد، ولكن إذا كان بذمّته درهم أو دينار واحد من الحقوق الشَّرعية، فإنَّ الله لن يتقبَّل منه، (إنَّما يتقبّل الله من المتّقين)[4]، فإذا لم تعطِ للفقير مالاً فإنَّ الله لن يسألك يوم القيامة عن سبب عدم إعطائك الفقير مالاً؛ لأنَّه عملٌ مستحب، والله –سبحانه وتعالى– لن يعاقبك على ذلك، ولكنه –تعالى– يعاقب الإنسان إذا كان في ذمّته

١– العالم الفيزيائي البرت انشتاين المتوفى سنة ١٩٥٥ م .
٢– نهج البلاغة : ج ٤ ، ص ١٨ ..
٣– بحار الانوار : ج ١١ ، ص ١٤١ .
٤– سورة المائدة : ٢٧ .

درهمٌ أو دينارٌ من حقوق الناس أو من حقوق الله، فيكون مُؤاخَذاً ومحاسَباً عليه يوم القيامة.

أبو ذر... درسٌ في التّقوى

إنَّ التّقوى التي يُنشدها الصّيام، هي أنّه عندما ينام الإنسان في الليل، لا يكون في ذمّته مالٌ من حقوق الله ومن حقوق الناس؛ (إذا أردت عزّاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فاخرج من ذل معصية الله إلى عزّ طاعة الله) [1].

دخل أبو ذر الغفاري على عثمان وبيده الحكم والسّلطة، وكان أبو ذر شيخاً كبيراً وضعيفاً من النّاحية البدنية – كما ينقل– ويتوكّأ على العصا وقد هدّه الزّمن، فوجد أمامه مئة ألف درهم، وكان الجالسون حول عثمان يتطلّعون إلى هذه الأموال ويطمعون فيها، فقال أبو ذر: ما هذه يا عثمان، قال: هذه مئة ألف جُبيت إليّ من بعض النّواحي، وأنتظر أن يُضاف إليها مئة ألف ثانية ثم أرى فيها رأيي، فقال له أبو ذر يا عثمان: أيّهما أكثر مئة ألف درهم أو أربعة دنانير؟ قال: بل مئة ألف، قال له أبو ذر: يا عثمان أما تذكر أنّنا دخلنا ذات عشي على رسول الله –صلى الله عليه وآله– فرأيناه حزيناً مُكتئباً ثم جئناه غداً صباحاً فرأيناه ضاحكاً مُستبشراً، فقلنا له فداك أبي وأمي يا رسول الله لماذا كنت البارحة كئيباً واليوم مستبشراً ضاحكاً، فقال: كانت عندي أربعة دنانير من أموال الناس لم أجد لها شخصاً أعطيها، فبتُّ تلك الليلة وأنا أفكّر إذا مُتُّ في هذه الليلة كيف ألاقي الله تعالى بأربعة دنانير؟! وأنت أمامك مئة ألف درهم من أموال المسلمين وتقول: أدعها عندي وأضيف عليها مئة ألف ثانية، لأرى فيها رأيي [2].

كان زيد بن ثابت وأبو ذر كلاهما من أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وآله–، وكلاهما كانا مع النبي يصلون جماعة خلفه ويذهبون معه إلى غزواته، ولكن زيد بن ثابت غرّته الدنيا والأموال وانحرف عن خطّ أمير المؤمنين –صلوات الله عليه–، وكان يأمر الناس بشتم أمير المؤمنين! وعندما مات ترك ثروة من الذّهب كانت تُكسر بالفؤوس[3]! لكنه باع آخرته للدنيا، فهذا زيد بن ثابت الصحابي، وهذا أبو ذر الذي مات جوعاً وعطشاً بتقواه، فقد رحل إلى الربذة وبقي فيها وهناك توفّي، وقبله توفي ابنه أمام عينيه، فوقف على قبره وأخذ يخاطب ولده، قائلاً:

١- بحار الانوار: ج ٤٤، ص ١٣٩.
٢- المصدر نفسه: ج ٢٢، ص ٤٢٦.
٣- تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون: ج ١، ص ٤٠٢.

رحمك الله يا ذر؛ فقد كنت خلوقاً رحيماً بارّاً بوالديك ولقد شغلني الاهتمام لك عن الاغتمام بك، يعني بدل أن أحزن عليك، فأنا مهتم ومغتم كيف أنّك أجبت الله -سبحانه وتعالى- ثم خاطب الله -سبحانه وتعالى- وقال: يا الله إنَّك فرضت عليه حقوقاً لك، وفرضت عليه حقوقاً لي، اللهم إنِّي وهبت له حقّي وأنت أكرم منِّي فهب له حقوقك[1]، ثم ماتت زوجته أيضاً في صحراء الرّبذة أمام عينيه؛ لأنَّه لم يكن يتمكَّن من المداهنة؛ لأنَّ تقواه منعه من ذلك، بعد ذلك ماتت غُنيمات كانت عنده، فبقي ثلاثة أيام جائعاً وسط صحراء الرّبذة، إلى أن أدركه الضّعف، فقال لابنته: بنيّة قومي فلنذهب إلى الرمل لعلّنا نجد شيئاً من القت - نبات- نأكله، تقول فذهبنا إلى الرمل وبحثنا عن القت فلم نجد شيئاً، تقول فاستسلم للموت ونام أبي وجمع من الرمل ووضعه تحت رأسه ثم مات[2]، هذا هو أبو ذر يموت ابنه وتموت زوجته ثم يموت هو أيضاً، وذاك زيد بن ثابت، لكن هل سمعتم عن زيد بن ثابت أثر في التاريخ؟ وعلينا أن نذهب الى الآخرة لنطّلع على جزائه!

إذن؛ يجب أن يكون الإنسان متّقياً في كلِّ النّواحي، وشهر رمضان شهر التقوى بالذات من النّاحية المالية، إذ يجب على الإنسان أن يصفّي ما عليه من حقوق الله ومن حقوق الناس.

١- الكافي: ج ٣، ص ٥٢ .

٢- بحار الانوار: ج ٢٢، ص ٣٤ .

دروس من حياة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

محمد يوسف السعدي

إذا أراد الإنسان الوصول إلى هدفه، ومقابلة الظّلم، والطّغيان، والقضاء على الاستبداد، ماذا يمكنه أن يستفيد من نهضة الإمام الحسن -عليه السلام- في مواجهة معاوية؟.

الذي يقوم بالمقاومة المسلّحة فقط، والذي لا يقوم بأيّة مقاومة في مقابل العدو؟ كلا العملين غير صحيح، ولا يمكن أن يكون أيّ منهما أسوة صحيحة للآخرين.

بل يلزم أن يتّخذ الإنسان من نبيّ الإسلام -صلى الله عليه وآله- وأهل بيته الطاهرين -صلوات الله عليهم أجمعين- أسوة وقدوة، كما يلزم تطبيق سيرتهم حسب موازين الزّمان.

ولتوضيح ذلك أكثر نضرب مثالاً في هذا المجال:

إذا لم يسافر الإنسان لأداء فريضة الحج بالطّائرة، وذلك لأنّ النّبي -صلى الله عليه وآله- لم يسافر بالطائرة، ولم يكن هناك على سبيل الفرض طريق آخر، أو أنّ إنساناً آخر يذهب إلى الحج في يومنا هذا بواسطة الخيل؛ وذلك لأنّ النّبي -صلى الله عليه وآله- فعل ذلك في زمانه، فإنّ كلا الشّخصين قد أخطئا، وذلك لأنّ النبي -صلى الله عليه وآله- لم يقل أنّه بعد أكثر من ألف سنة يجب السّفر إلى الحج بواسطة الخيل والجمال.

يلزم علينا أن نُفكّر أوّلاً ثم نقدم على عملنا، كما فعل الإمام الحسن -عليه السلام- حيث اتخذ الأسلوب المناسب بعد التّفكير الصّحيح الذي كان ينبع عن الوحي، فقام بما هو صالح للإسلام والمسلمين، وفي زماننا هذا فإنّ شرائط التّحرّك الإسلامي تشبه بزمانه -عليه السلام- فإنّنا نعيش الآن في وقت هجم علينا كلُّ قوى الكفر، قوى الشرق من جهة وقوى الغرب من جهة أخرى، اليهود من جهة والفساد من جهة أخرى، ولا ينبغي التّغاضي عن أمواج الفساد واعتبارها لا شيء.

فاليوم الخمور، والقمار، والسفور، والفساد الأخلاقي المنافي للعفَّة والذي يخدش الحياء، وأمثالها، كلّها تحسب كقوى الشّر، وتُشكّل جبهة مخيفة، ونحن في عصرنا الحاضر نحتاج إلى أكثر مقدار ممكن من العلم والتَّعقّل، والثَّقافة والوعي، كي نحافظ في المرحلة الأولى على أنفسنا وشبابنا ثم نُطوّر الأمّة فكريّاً وعمليّاً.

فيلزم علينا أن نلاحظ ثلاثة أمور؛ وذلك للحفاظ على جبهتنا مقابل الباطل:

١: مراقبة أنفسنا.

٢: تنمية وتطوير قوانا.

٣: سلب القدرة من تلك الجهات التي تواطئوا على ملء الدُّنيا بالفساد والباطل، وذلك بفضحهم وتوعية النَّاس.

إنَّ المسلمين في العصر الحاضر، حيث عاد الإسلام غريباً بينهم، بحاجة إلى أسلوب الإمام الحسن -عليه السلام- في العمل، وفهمه وإدراكه وبحاجة إلى أكبر قدر ممكن من العقول النَّاضجة، والفكر، والبرنامج، والمشورة، والوقت الكافي، والأخلاق الحسنة، والدّقة في العمل والاستقامة؛ كي يتمكّنوا من الوقوف في مستوى الدّفاع أمام الأعداء.

نماذج من العلماء الصّامدين

هنا نشير إلى ثلاثة نماذج من العلماء الصّامدين، الذين نجحوا في الحياة، مسلمين وغير مسلمين، فإنَّ الصّمود، والاستقامة شرط أساسي من أجل السَّعي لإعادة تحكيم الإسلام، وتحمّل الصِّعاب والمشاكل هو طريق ذلك، فإنَّ الهمّة العالية، والاستقامة في سبيل الوصول إلى الهدف من أهم عوامل الموفّقيّة.

١: شريف العلماء

العالم الجليل شريف العلماء[١] هو أحد أكبر علماء الشّيعة وضريحه في كربلاء المقدسة.

---

(١) محمد شريف بن حسن علي المازندراني الحائري، أصله من مازندران وولادته في كربلاء المقدسة، نشأ في الحوزة العلمية وحضر درس الآيات العظام في زمانه من أمثال المرحوم صاحب (الرياض) والمرحوم السيد المجاهد وغيرهما، حصل على درجة الاجتهاد في أول شبابه واشتغل بتدريس الفقه والأصول في مدرسة (حسن خان) بالقرب من مرقد سيد الشهداء -عليه السلام- وقد حضر درسه أكثر من ألف شخصية علمية من أمثال المرحوم الشيخ الأنصاري وفاضل الدربندي وسعيد العلماء المازندراني والمئات من العلماء والمجتهدين الآخرين، توفي عام ١٢٤٥هـ على أثر إصابته بمرض الطاعون ودفن في شارع القبلة للحرم الحسيني في المحل المعروف بمدرسة شريف العلماء.

هذا العالم الكبير كان يوماً زعيم الحوزة العلمية في كربلاء وأستاذ علماء الشّيعة، وتمكّن من تربية مجموعة كبيرة من العلماء من أمثال المرحوم الشّيخ مرتضى الأنصاري -رحمه الله-، وكان يحضر درسه أكثر من ألف عالم ومجتهد.

يقال: إنَّ من أسباب نبوغ هذا العالم الجليل هو أنّه ولسنوات عديدة كان يبقى مستيقظاً من أوّل الليل إلى الصّباح ودائماً كان مشغولاً بالمطالعة والبحث في الكتب، ومن دون شكّ وتردد أنَّ هذه المدّة الطويلة من اليقظة في الليل هو عمل صعب جداً، ولكن نفس هذا العمل الصّعب تمكن من إيجاد نابغة عظيمة حيث جاء في تاريخه أنّه بقي أربع عشرة سنة يقظاً طوال الليل، ولهذا أصبح على رأس كافّة فقهاء القرن الأخير وعلمائها، والعجيب أنَّه قد توفّي في فترة شبابه.

إنَّ العمل أيضاً مثل العلم تماماً بحاجة إلى الصّمود، والاستقامة، وتحمّل الصّعاب، لذا فإنَّ الشَّيء نفسه الذي يلزم في النّبوغ العلمي يلزم وجوده في الواقع العملي أيضاً؛ لأنَّ العلم والعمل مثل جناحي الطَّائر، فإنَّ كل علم من العلوم يحتاج إلى شيئين: الأوَّل ثقافة العلم، والآخر كيفية إجراءه في الخارج، وإذا ما أراد شخص تعمير المدن، وإصلاح الناس فيلزمه زمان طويل من التَّفكير، والتَّخطيط وأن يسعى دائماً لانتخاب أفضل الطّرق التي توصله إلى الهدف، ومن ثمَّ عند إصابته الطَّريق أن يتحرّك ويعمل بجدّ ويتحمّل الصِّعاب، ومثل هذه الطَّريقة يمكن أن تكون أسلوباً لإجراء حكم الله في الأرض.

٢: ابن سينا

ابن سينا [١] إنَّه كان نابغة بدليل أنَّه تمكَّن من فرض شخصيته العلمية في أوساط المجتمعات البشرية إلى هذا اليوم، يقول: بأنَّه قرأ مرَّة كتاب أحد الفلاسفة فلم يفهم معناه فقرأه مرَّة ثانية فلم يفهمه وكذلك في المرَّة الثّالثة وأخيراً قرأ الكتاب أربعين مرَّة حتى أدرك معناه، وبهذه الطّريقة تمكّن ابن سينا الوصول إلى هدفه.

---

(١) أبو علي حسين بن عبد الله بن سينا البخاري الملقب بالشيخ الرئيس، أبوه من أهل بلخ وقد هاجر إلى بخارى وهناك كان ولادة أبي علي في زمان نوح بن منصور الساماني سنة ٣٧٣هـ، كان عالماً ونابغة عظيماً في عصره، ويكفي على نبوغه كتاب (القانون) في الطب فقد كتبه وكان عمره آنذاك ستة عشر عاماً، وكان من أجل تحصيل العلوم يبقى مستيقظاً طوال الليل أو ينام قليلاً وقد اشتهر عنه بأنه في أثناء بروز المشكلات العلمية كان يصلي ركعتين ويطلب من الله تعالى العون على حلها، توفي في سنة ٤٢٧هـ وكان عمره آنذاك ٥٤ عاماً في مدينة همدان ودفن هناك.

٣: إديسون

إديسون[١].. وهو الذي اكتشف القوّة الكهربائية وكان قبل ذلك قام بتجربة فيزيائية فلاحظ تطاير شرارة كهربائية من جهازه الذي كان تحت التَّجربة، فكرّر العمل مرَّة ثانية فلم يوفَّق، وفي المرَّة الثَّالثة عزم على الاحتفاظ بتلك الشّرارة في إحدى القناني المختبرية فلم يوفَّق، وهكذا كرَّر عمله هذا عدّة مرات فلم يصل إلى نتيجة، إلى درجة أنَّ أصدقاءه كانوا قد اتهموه بالجنون، ولكنه كان مصمّماً وذا إرادة فَوَاصَل تجاربه إلى أن تمكَّن من الاحتفاظ بتلك الشَّرارة الكهربائية، وجاء في تاريخه أنَّه ومن أجل الوصول إلى هدفه كرَّر هذه التّجربة أكثر من تسعة آلاف مرَّة وكان دائماً يتحلّى بالصّبر وعدم اليأس إلى أن تمكَّن من الحصول على مراده.

نحن في الحقيقة علينا أن نتعلَّم من الإمام الحسن -عليه السلام- درساً في كيفية الإعداد، كما يلزم التّحمّل والغلبة على كافّة المشكلات بالرغم من كثرتها، وهذا الأمر أصعب حتى من الثّورة نفسها، لأنَّ الثورة عبارة عن مقابلة العدو من أجل المحاربة، على عكس الإعداد الذي تظهر فيه آلاف المشاكل.

اختلاقان تاريخيان

١: فئتان عظيمتان من الأمة

الحديث المشهور والذي يجري على ألسنة بعض الناس عن النبي -صلى الله عليه وآله-: (الحسن سيّد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من أمّتي)، الظَّاهر أنَّه من ألاعيب معاوية وأكاذيبه، والشَّخص الذي وضع هذه الرّواية أراد أنّ يوحي على لسان رسول الله -صلى الله عليه وآله- بأنَّ معاوية وجماعته فئة عظيمة من الأمّة الإسلاميّة، وستحارب فئة أخرى منها، والإمام الحسن -عليه السلام- يتمكّن من الصلح بينهما.

في هذا الحديث نلاحظ كذبتين واضحتين للعيان:

الأولى: إنَّ معاوية وجماعته (الذين عصوا إمام زمانهم الشّرعي وحتى القانوني) فئة عظيمة ومحسوبة من الأمّة الإسلامية، في الوقت الذي يقول الرسول -صلى الله عليه وآله-: «أعداء علي كفار»[٢]..

---

(١) توماس الوا أديسون ولد في سنة ١٨٤٧م وسط عائلة فقيرة، وقد اضطر لفقره أن يترك الدراسة ويشتغل بالعمل من أجل تأمين لقمة العيش، ولكن بسبب عشقه وعلاقته بالأعمال الفيزيائية والعلوم الطبيعية خصوصاً في مجال الالكتريسته فقد تمكن من اختراع مجموعة من الآلات الإلكتريكية المتعددة وكان أول شخص تمكن من اكتشاف الفنوغراف، توفي سنة ١٩٣١م.

(٢) الاحتجاج، للطبرسي: ج١ ص٦٢.

و: «يا علي حربك حربي»[1]..

وكذلك قوله -صلى الله عليه وآله- لعمّار: «يا عمّار تقتلك الفئة الباغية»[2]، وغيرها.

الثّانية: إنَّ الإمام علي -عليه السلام- لم يكن قادراً على الإصلاح، وكان طالب حرب فقط، وقد اقتضت الضّرورة الإصلاح من قبله -عليه السلام- لكنه لم يستجب لذلك وأن ابنه الحسن -عليه السلام- قد وفق لإقرار الصلح!!

وهذا أحد الروايات الموضوعة والقصد منها إعطاء صفة الشّرعيّة لمعاوية، وبما أنَّ الكذب والوضع واضح فيها فنصرف النّظر عن التّوضيح الأكثر بالنسبة إلى ردّها.

والآن نعود إلى البحث الأصلي وهو أنَّ التَّضحية حتى القتل مثل ما قام به سيّد الشّهداء -عليه السلام- كانت ممكنة للإمام الحسن -عليه السلام- ولكن كانت النّتيجة فناء الإسلام الواقعي، على عكس تضحية الإمام الحسين -عليه السلام- حيث كانت نتيجته الإبقاء على الإسلام الأصيل حيّاً وخالداً إلى الأبد؛ لأنَّ الإمام الحسين -عليه السلام- كان قد حارب الباطل الذي لا ثقافة له ولم يكن يتظاهر بالشَّرعية وقد تم تحطيمه معنوياً وفضحه إلى الأبد، في الوقت الذي كان معاوية يتمكّن من القضاء على الإمام الحسن -عليه السلام- عسكرياً، وتصفيته بالكامل وبثّ الدّعايات للنيل من سمعته، حيث كان يتمتّع بالمكر، والخديعة، وكان يتظاهر بالإسلام نوعاً ما.

٢: كثرة الزّواج والطّلاق

الافتراء الآخر الذي ينسبه بعض المؤرخين إلى الإمام الحسن -عليه السلام- هو موضوع كثرة زواج الإمام -عليه السلام- وكثرة طلاقه، وهذا أيضاً من وضع معاوية وأعوانه؛ لأنَّ معاوية كان قد تعلَّم أساليب الحكم من الرّومان فكان فاسقاً لا يتورّع عن القيام بأيّ جريمة من شرب الخمر، والفحشاء، وهتك حرمة الأفراد، وغيرها[3].

---

(١) الأمالي للصدوق: ص١٦٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٨ ص٢٠١.

(٣) للتفصيل راجع كتاب (الغدير) للعلامة الأميني: ج١٠ و١١.

ومن دون شكّ وتردّد فإنَّ دولته التي شيّدت على الجور، والاستبداد، والسّيف، ورؤوس الحراب فإنَّها إلى جانب التَّهديد، والتَّرغيب كانت تستخدم أسلوب التَّضليل، والتَّزوير، ولذا فقد سعى معاوية إلى اتهام مخالفيه؛ كي يخدش شخصيتهم، ويقضي على محبَّتهم في قلوب النَّاس، وكان يطلق الإشاعات، والدِّعايات المضللة بين أناس لا يميّزون بين النَّاقة، والجمل[1]..

وهذا أسلوب جميع الحكّام المستبدّين، والطُّغاة التي تبتلي بهم الأمم.

وهناك احتمال آخر في مثل هذه الرّواية بأنَّها من وضع منصور الدوانيقي العبّاسي، لأنَّ أولاد الإمام الحسن -عليه السلام- كانوا يثورون باستمرار ضدّ حكمه الجائر، فكان يروم إسقاط شخصيّة الإمام كي لا يميل الناس إلى بنيه المجاهدين، وفي أحد الأيام خطب في الهاشمية على الخراسانيين وذكر كلاماً غير لائق بعلي وبنيه -عليهم السلام- قال فيه: (إنَّ الحسن بن علي صالح معاوية على أن يجعله معاوية ولي عهده، ولذا هادن معاوية وسلّمه جميع الأمور، وتوجّه إلى النّساء يتزوج يوماً هذه ويطلق أخرى وكان دأبه هكذا إلى أن أغمض عينه عن الدّنيا)[2].

أما ما يذكر من الشَّواهد التاريخية وبعض الروايات التي جاءت في كتب الشيعة أو السّنة بهذا الخصوص فإنَّها ضعيفة السّند أو ضعيفة الدّلالة ـ على اصطلاح علم الرّجال ـ.

ثم إنَّ الذي يبتلى بالحكّام الظلمة والمستبدّين ويشاهد كيفية نسبة التهم والافتراءات على مخالفيهم، ويرى أسلوبهم في الاستبداد، وخلق الأكاذيب، والحيل، والسكر، والنّفاق، وخاصّة عند الأمويين والعباسيين، يعرف صحّة ما قلناه، ولا أقل من أن يحتمل أو تكون عنده شبهة بأنَّ هذه الأحاديث من موضوعاتهم، وعلى سبيل المثال: فإنَّ أبا سفيان اتّهم شخص النّبي -صلى الله عليه وآله- بالجنون، ومعاوية اتهم عليّاً -عليه السلام- بترك الصلاة، كما أنَّ يزيد بن معاوية اتّهم الإمام الحسين -عليه السلام- بالخروج على دين جدّه -صلى الله عليه وآله-

(١) أصل القصة هكذا: إن شخصاً من أهالي الكوفة دخل يوماً إلى دمشق ـ عاصمة معاوية ـ ومعه بعيره، فشاهده واحد من أهل دمشق وعرفه بأنه غريب، فأمسك بجمله وأدعى ملكيته وبما أن الحادثة كانت بعد واقعة صفين، فإن الشامي قد ادعى بأن هذا الكوفي قد سرق منه ناقته هذه في حرب صفين، فاشتد بينهما النزاع ورفع أمرهما إلى معاوية، وكان الشامي قد أحضر خمسون شاهداً من أهالي دمشق بأن هذه الناقة تعود له، ولهذا فقد قضى معاوية للشامي وأعطاه البعير، فقال الكوفي لمعاوية: جميع هؤلاء الشهود يكذبون لأن هذا البعير جمل وليس بناقة، فقال معاوية: قد قضيت ولا يمكن نقض حكمي، وبعد ذهاب أهل الشام، أدخل الكوفي معه إلى داره ودفع له قيمة البعير ثم قال: أبلغ علي بن أبي طالب بأني أقاتله بأكثر من مائة ألف لا يميزون بين الناقة والجمل (مروج الذهب: ج٣ ص١٣).

(٢) مروج الذهب: ج٣ ص٠٠٣.

، وهكذا فقد حاربوا أهل بيت النبي الأطهار -عليهم السلام- بكلِّ أسلوب حاقد، وفي هذا يقول أحد الشّعراء:

عبد شمس قد أضرمت لبـــني هاشم ناراً يشيب منها الوليد

فابن حرب للمصطفى وابن هند لعـــلي وللحسين يزيد[1]

(١) النزاع والتخاصم، للمقريزي: ص٢٦.

قال رسول الله ﷺ:

«من سرّه أن ينظر إلى سيّد شباب أهل الجنّة فلينظر إلى الحسن"

البداية والنهاية ج٨ ص٣٥؛ تاريخ مدينة دمشق ص٧٨ رقم ١٣٦.

ليلة القدر الليلة المباركة

الشيخ حيدر حسن

قال الله –تعالى– في كتابه الحكيم: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ)[1]. صدق الله العلي العظيم.

هنالك مجموعة من البحوث حول ليلة القدر نذكرها على التّرتيب:

البحث الأول: تحديد ليلة القدر.

أيَّةُ ليلة هي ليلة القدر، وماهي الليلة التي يُقال لها ليلة القدر؟

هنالك نوع من الغموض يُحيط بهذه الليلة، بل هنالك نوع من المجهولية وعدم التّحديد، ويمكن القول أنَّه في بعض الأحيان يكون الجهل أفضل من العلم من جهة آثاره، إذ يخلّف الجهل آثاراً وجودية، ومن جهة هذه الآثار الوجودية يكون الجهل خيراً من العلم.

نحن لا نعلم متى نفارق فيها هذه الحياة، فهل هذا الجهل شرٌّ ؟

كلا، إنَّه خير؛ فلو كنّا نعلم أنَّنا نموت في اللحظة الكذائية، لما كان استجابَ أحدٌ الى عمل الخير، بل يتركه إلى ما قبل تلك اللحظة بيوم أو يومين أو عام أو عامين، كما قال عمر بن سعد: (أتوب إلى الرحمن من سنتين)[2]، حيث يبدأ الإنسان بالتوبة إلى الله –سبحانه وتعالى– ويعمل الخيرات، ولكنّنا في حالنا الحاضر نجهل اللحظة التي نموت فيها، وهذا ما يدفعنا إلى فعل عمل الخير في كلِّ لحظة؛ لأنَّنا لا نعلم متى نموت.

إنَّ الله –سبحانه وتعالى– أخفى رضاه في طاعته ليتزوّد العباد من الخير، وأخفى غضبه في سخطه؛ ليجتنب العباد الشّر، وأخفى أولياءه في عباده؛ حتَّى لا يحتقر أحدنا الآخر، فأحياناً يكون بعض الناس ليسوا ذَوِي قيمة

(١) سورة الدخان : ٤ .

(٢) من شعر لعمر بن سعد . راجع : اللهوف في قتلى الطفوف : السيد بن طاووس : ص ٣٩١ .

من النّاحية الاجتماعية، ولكنَّ لهم قيمةً كبيرةً عند الله -سبحانه وتعالى-.

وبعبارة أخرى إنَّ الإبهام إذا تعلّق بعمل خيّر فإنَّه في واقعه توسيع لنطاق ذلك العمل، فإذا كان هنالك وضوح في عمل الخير، أي كانت هنالك نقطة محدّدة، ونضع أيدينا عليها ونقول: هذه هي نقطة عمل الخير، ففي هذه الحالة سوف يقتصر عمل الخير على تلك النّقطة، بينما في حالة الإبهام والغموض، أو وضوح من وجه وغموض من وجه آخر، فمعنى هذا في النّتيجة اتساع نطاق عمل الخير، وبدل أن يقتصر على نقطة واحدة يتوزّع في نقاط متعددة.

وإخفاء ليلة القدر بعينها هو للمصلحة، وللفائدة؛ لأنّنا لو عرفناها لعملنا فيها، وتركنا غيرها، أمَّا إذا كان هنالك نوع من الإبهام فإنَّ الإنسان سيعمل الخير أكثر فأكثر.

البحث الثاني: التّرجيح.

هل هنالك ترجيح في ليلة القدر

الجواب: نعم، هنالك احتمال أقوى من بقية الاحتمالات وهو أن تكون ليلة القدر هي الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان المبارك، وهنالك رواية معروفة وهي رواية الجُهني أنّه سأل الرسول الأعظم محمد -صلى الله عليه وآله- فقال: له أنا رجل بعيد عن المدينة ولا أتمكّن من المجيء عدّة مرّات الى المدينة، فعيّن لي ليلة آتي فيها إلى المدينة، ولعله كانت عنده مَواشٍ أو تجارة أو عمل معين، فعيّن له النبي -صلى الله عليه وآله- الليلة الثّالثة والعشرين [1]، لذلك الاحتمال الأرجح - كما يميل إلى ذلك كثير من العلماء- ولعله المرتكز في أذهان الفرقة النّاجية أنَّ ليلة القدر هي الليلة الثّالثة والعشرون من شهر رمضان المبارك.

البحث الثالث: معنى ليلة القدر.

لماذا سُميت هذه الليلة بليلة القدر ؟

الظاهر من بعض الرّوايات أنَّ جميع مصائر العباد تعيّن في هذه الليلة، والحقيقة إنَّ فكرة القَدر هي فكرة المصير، وفكرة مهولة ومخيفة، نحن لو كُنّا نستشرف المستقبل، لكنّا نرى ما يجري علينا فيما يأتي من عمرنا، وربما لم يكن يهدأ لنا بال، حيث ما سيجري علينا في الشّهر القادم، أو في العام القادم، فهل نحن أحياء إلى السنة القادمة؟!

(١) اللهوف في قتلى الطفوف : السيد بن طاووس : ص ٣٩١ .

إنَّ الصّحة والمرض والغنى والفقر والمشاكل والحلول، وكل شيء يرتبط بمصير الإنسان تُحدد في هذه الليلة ... فليلة القدر يُحدد فيها كل شيء إلى العام القادم، ولذلك تُسمّى هذه الليلة (ليلة القدر)، ويظهر من بعض الكلمات أو الروايات أنَّ التقدير حتميٌّ في هذه الليلة إذن؛ ليلة القدر، هي ليلة تقرير المصير.

البحث الرابع: الإرادة البشرية والتقدير الإلهي.

هل للإرادة البشرية وللعمل الإنساني دور في التقدير الإلهي؟ وهل أنَّ الله -سبحانه وتعالى- يقرّر التّقدير فقط ولا علاقة له بعملنا وبإرادتنا ؟! إنَّ عملنا مؤثّر في التّقدير الإلهي، وهو ما قدّره الله سبحانه وتعالى بأن جعل عملنا مؤثراً في تقديره، لذا جاء في الأحاديث أنَّ الصّدقة تدفع البلاء، وهذا يدلّ على أنَّ العمل يترك أثره في البلاء الموجّه إليك، فالبلاء ربما يتوجّه إلى المؤمن، لكن الصّدقة تدفع هذا البلاء، و(الدعاء يرد القضاء وقد أُبرم إبراماً)[1]، وأحياناً يكتب الله على نحو القضية التعليقية بلاءً لإنسان، فإذا دعا قبل حلول ذلك البلاء يدفع الله عنه ذلك البلاء، كما حصل لذلك الرجل الذي كتب الله له الموت كتابةً تعليقية، فصعد على السلم وكان القدر أن يسقط من ذلك السّلّم ويموت، وكان يريد أن يأخذ فرخ الحمام ليقتله ويذبحه، وهو في طريقه إلى الصعود سمع طارقاً على الباب، فقال: لأنزل وأرى من خلف الباب، ثم أصعد، ولما نزل إذا به أمام فقير، فأعطاه شيئاً من المال (صدقة) ثم صعد إلى الأعلى، وأخذ فرخ الحمام وقتله وتغيّر التقدير الإلهي، ثم أمر الله -سبحانه وتعالى- ذلك الحمام بالهجرة إلى مكّة وما حولها، في قضية لا علينا بتفصيلها، إذن؛ لا يقول الإنسان: إنَّ الأمر قد فُرغ منه -كما في الرواية- [2] لأنَّ الدّعاء مؤثّر، فإذا شعر الإنسان بالخوف من شيء - كما في الرواية حسب ذاكرتي- وسبق ذلك البلاء بالدعاء فإنَّ الله-تعالى- يدفع عنه ذلك البلاء، فكما إنَّ الدّعاء والصّدقة مؤثّرة، فإنّ صلة الرّحم مؤثّرة أيضاً، وكذلك الأعمال الطّيّبة، وإذن؛ فإنّ الإرادة البشرية مؤثّرة في التّقدير الإلهي؛ هكذا قدّر الله سبحانه وتعالى.

البحث الأخير: أفضل الأعمال.

ما هي أفضل الأعمال في هذه الليلة؟

هنالك الكثير من الأعمال، منها زيارة الإمام الحسين -صلوات الله وسلامه عليه- في هذه الليلة، وهي

(١) الكافي: ج ٢، ص٩٦٤.

(٢) المصدر نفسه: ص ٦٦٤.

مؤثّرة ومهمّة جداً، ومنها صلاة مئة ركعة، وهي أيضاً مؤثرة ومهمّة جداً.

ومن الأعمال أيضاً في ليلة القدر؛ رفع المصاحف فوق الرّؤوس، والتّوسل بأهل البيت -صلوات الله عليهم-، ولكن يبدو أنّ أفضل عمل في هذه الليلة، هو التّوبة من الذّنوب، فيدخل في هذه الليلة طاهراً، لا أن يأتي عند الله وهو ملوّث بالمعاصي وبالذنوب التي تحجب الدعاء، فالله لا ينظر إلى هذا العبد، فإذا توجّه الإنسان إلى الله -سبحانه وتعالى- وفي ذمّته حقوق لله ومظالم للعباد، فربما لا ينظر الله -سبحانه وتعالى- إليه، وربما لا يستجيب له دعاءه، لذا؛ ليحاول كُلٌّ منّا الآن أن يتخلّص من هذه التّبعات، بقرار واحد وبلحظة واحدة وباستغفار صادق واحد يطمر كل تلك التبعات، ويرتاح باله، بدلاً من أن يعيش دائماً حالة القلق وتأنيب الضّمير، ونحن حديثنا مع المتديّن، وليس مع غيره، لأنَّ المتديّن عندما يرتكب ذنباً فإنّ هذا الذّنب يؤرّقه دائماً ويسلب راحته، لأنَّه يعلم أنَّه طغى على خالقه، وأنّه ظلم نفسه، وأنّه مذنب وملوّث، فإذا صفّى الإنسان هذه الذّنوب وصفّى مظالم العباد، فإنَّ الذي سيرتاح هو ضميره، فيدخل ليلة القدر وروحه طاهرة مطهّرة، ويكون كمن يغسل بدنه من بعد فترة انقطاع لمدّة أيّام أو شهر، حيث يشعر بالأدران تُثقل بدنه، وكذلك تكون الرّوح مُثقلة، لكن إذا تاب إلى الله سبحانه وتعالى بقرار واحد بلحظة واحدة ويعود إلى الله سبحانه وتعالى، فإنّ الله تعالى يفتح عليه أبواب رحمته.

كانت مولاتنا فاطمة الزّهراء (صلوات الله عليها) توقظ الأولاد، أو لا تدعهم ينامون في الليلة الثالثة والعشرين أو ليلة القدر، وكانت تقول: (محروم من حُرم خيرها) [1]، فالمحروم الحقيقي هو ذلك الذي لا يُوفَّق للتوبة والاستغفار ولعمل الخير في هذه الليلة.

لعل أفضل عمل نعمله في هذه الليلة إزالة الحجب التي بيننا وبين الله، وهي الذّنوب التي فعلناها بالمئات وبالألوف، على الإنسان تصفية هذه الذّنوب والتّبعات.

---

(١) مستدرك الوسائل : الميرزا النوري : ج ٧ ، ص ٠٧٤ .

العيد والجوائز الإلهية

حيدر فائق الهنداوي

قال تعالى:

(قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ).[1]

لكلّ مجتمع أحداث جميلة يحيونها كلّ سنة حسب معتقداتهم وإذا رجعنا إلى الدّيانات الإلهيّة لا نجد ديانة إلا ولها حدث جميل اصطلح عليه يوم العيد فالدّيانة اليهوديّة لها مجموعة من الأعياد كعيد الفصح وعيد الهلال الجديد وعيد السبت وغيرها والدّيانة المسيحية أيضاً لها مجموعة من الأعياد كعيد البشارة وعيد الميلاد وعيد القيامة وغيرها [2].

والإسلام لم يكن شاذّاً عن بقيّة المجتمعات والحضارات والأديان الأخرى فقد عبّر عن ذكريات من تاريخ الإسلام بالعيد وهي: عيد الأضحى المبارك وعيد الفطر المبارك ويوم الجمعة وعيد الغدير ويوم التاسع من ربيع الأول وعيد يوم عرفة ومواليد المعصومين والبعثة والإسراء والمعراج وما إلى ذلك مما يدخل الفرح على النّفوس ويذكر بالمناسبات المفرحة [3].

فكيف ينظر الإسلام إلى العيد وما هي مميزاته وكيف نستثمره الاستثمار الصّحيح ؟

هذه محاور مهمّة علينا معرفتها لأنَّ المعرفة تورث العمل والحصول على فوائد هذا اليوم .

(١) سورة المائدة، الآية:٤١١.

(٢) للمزيد راجع (ثقافة العيد والعيدية)، ٢١ـ ٥٢.

(٣) راجع كتاب الدعاء والزيارة، والمصباح، ومفاتيح الجنان وغيرها من كتب الأدعية والزيارات حول أهمية هذه الأيام .

تعريف العيد:

العيد لغةً: «يستعمل العيد في كل يوم فيه مسرّة وعلى ذلك قوله تعالى: (أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا[1])»[2].

وقيل: «العيد السرور العائد».[3]

أما العيد في المصطلح الشّرعي: «هو عبادة يعبِّر بها المسلم من خلالها عن انتصاره فيما سبقها من واجب كعيد الأضحى في إكمال فريضة الحج وعيد الفطر بعد إكمال فريضة الصيام»[4].

مميزات عيد الفطر:

عيد الفطر السّعيد يقع في أوّل شهر شوال المكرّم كما هو المعروف، ويتميز بعدّة مميزات:

أوّلاً: نزول البركة والرَّحمة والمغفرة في هذا اليوم:

فعن أمير المؤمنين –عليه السلام–: «... إنَّ أدنى ما للصائمين والصّائمات أن يناديهم ملك في آخر يوم من شهر رمضان أبشروا عباد الله فقد غفر لكم ما سلف من ذنوبكم فانظروا كيف تكونون فيما تستأنفون؟!»[5].

وعن رسول الله –صلى الله عليه وآله–: «يقول الله لملائكته يوم العيد: ما جزاء الأجير إذا عمل عمله ؟

فيقولون يا ربنا جزاؤه أن يوفّى أجره .

فيقول: اشهدوا ملائكتي إنِّي غفرت لهم»[6].

ثانياً: عيد الفطر يمثّل نهاية فترة من الزَّمن اكتسب الإنسان فيها مجموعة من الصّفات الحميدة والخصال الطّيّبة ليعمل ويحقّق بعد هذا اليوم أهدافاً عظيمة وأعمالاً طيّبة .

---

(١) سورة المائدة، الآية :٤١١.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، ٤٩٥، مادة (عود).

(٣) مجمع البحرين، ٥٢٩، مادة (عود).

(٤)ومضة من ذاكرة الطف، ٣٩٢.

(٥) تنبيه الخواطر، ٢، ٧٥١.

(٦) أمالي المفيد، ٣، ٢٣٢.

عن الإمام الحسن -عليه السلام-: «... إنَّ الله جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه فيستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته فسبق قوم ففازوا وقصّر آخرون فخابوا ...»[1].

ثالثاً: شبيه بيوم القيامة:

عن الإمام الصادق -عليه السلام-: «خطب أمير علي بن أبي طالب يوم الفطر فقال: أيّها الناس هذا يوم يثاب فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون وهو أشبه بيوم قيامكم فاذكروا بخروجكم من منازلكم إلى مصلاكم خروجكم من الأجداث إلى ربّكم واذكروا بوقوفكم في مصلاكم وقوفكم بين يدي ربّكم واذكروا برجوعكم إلى منازلكم رجوعكم إلى منازلكم في الجنة ...»[2].

رابعاً: إنّه يوم الرّفد والجائزة الإلهية:

عن أبي جعفر -عليه السلام- قال: «ادعُ في الجمعة والعيدين إذا تهيّأت للخروج فقل: اللّهم من تهيّأ في هذا اليوم أو تعبّأ أو أعدَّ أو استعدّ لوفادة إلى مخلوق رجاءُ رفدهِ ونوافله وفواضله وعطاياه فإنَّ إليك يا سيّدي تهيئتي وتعبئتي وإعدادي واستعدادي رجاء رفدك وجوائزك ونوافلك ...»[3].

ويروى أنّه نظر الإمام الحسن-عليه السلام- إلى قوم يضحكون ويلعبون في عيد الفطر فقال: «إن كان هؤلاء ممّن غفر لهم فما هذا فعل الشّاكرين وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل المذنبين»[4]وقال العالم الجليل ابن طاووس (رضوان الله عليه): «اعلم أنَّ نهار يوم العيد فتح باب سعيد وتجديد فضل جديد لم يجرى مثله منذ سنةٍ ماضية ويمضي فلا يعود مثلهُ الى نحو سنةٍ آتية وما يخفى على ذوي الألباب أنَّ فتح الأبواب التي تكون في الأوقات المتباعدات بزيادات السّعادات لها حقّ التّعظيم والاحترام وحقّ الاعتراف لصاحب الانعام ولزوم الآداب مع سائر الأسباب مع مالك يوم الحساب»[5].

---

(١) تحف العقول، ٦٣٢.

(٢) تنبيه الخواطر، ٢، ٧٥١.

(٣) بحار الأنوار، ٦٨، ٩٢٣.

(٤) جامع السعادات، ٢/ ٤٢٢.

(٥) إقبال الاعمال، ١، ٧٦٤.

خامساً: فرصة يخسر كلّ من لم يستغلّها للحصول على خير الدّنيا والآخرة وتبدأ هذه الفرصة من مغرب الليلة التي تسبق اليوم إلى مغرب يوم العيد [١].

عن أمير المؤمنين –عليه السلام–: «من وجد مورداً عذباً يرتوي منه فلم يغتنمه يوشك أن يضمأ ويطلبه فلم يجدهُ»[٢].

وعنه–عليه السلام–: «ما في يومك فائت وآتيه متهم ووقتك مغتنم فبادر فيه فرصة الإمكان وإيّاك أن تثق بالزَّمان»[٣].

وعنه–عليه السلام–: «من أخّر الفرصة عن وقتها فليكن على ثقةٍ من فوتها»[٤].

ألم الحسرة على تفويت الفرصة:

«نقل أحد العلماء: كنت جالساً في صحن مرقد أمير المؤمنين –عليه السلام– في النّجف الأشرف مع زميل لي ـ كان مرجعاً دينيّاً كبيراً حينذاك ثم توفّاه الله تعالى إلى رحمته ـ وكنّا نتداول بعض البحوث العلمية إذ مرَّ من أمامنا سقاء يوزّع الماء من أجل الثّواب وكسب بعض المال ممّن يتطوّع بتقديمه له وكان رجلاً كبير السنّ يحمل جرَّة الماء بصعوبة فقال لي زميلي المرجع (رحمه الله) هل ترى هذا السّقّاء ؟ لقد كنّا معاً زميلين في الدراسة قبل ثلاثين عاماً وكان يمتاز بالذّكاء ولكنه توقّف عن مواصلة الدِّراسة بسبب ضغوط الحياة فلم يقاوم فترك الدرس واتخذ مهنة السّقاية للزائرين بدلاً عنها لعلّه يحرز جانباً من تكاليف معيشته !!

ثم قال النّاقل: فاصطحبني زميلي –رحمه الله– ونهضنا إليه لنسأله عن حاله فقال لنا بعد أن تذكَّر زميلي: إنِّي أتحسَّر وأتأسّف ليلي مع نهاري على قلّة صبري وعدم تحمّلي بضع سنوات من الصّعوبة حتى استبدلت الأدنى بالذي هو خير !

---

(١) ينظر شريعة العيد، ٧٢.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، ٢٤٤.

(٣) موسوعة أحاديث أهل البيت–عليهم السلام–، ٨، ١٩٣.

(٤) ميزان الحكمة، ٣، ٩٩٣٢.

إنَّ الحسرة في الحياة الدنيا تنتهي خلال سنة أو سنوات معدودة ونادراً ما تستغرق العمر كلّه ولكن حسرة الدّار الآخرة قد تكون أبدية ولا حيلة للإنسان حينها في التّخلّص منها ألبته .[1]

أعمال من شأنها تعظيم هذا اليوم:

١ـ التّهيّؤ بدنيّاً بالغسل وله دور أيضاً في تهيئة النَّفس بعد الفراغ من الغسل تقول: (اللهم اجعله كفّارةً لذنوبي وطهّر ديني اللهم أذهب عنّي الدَّنس).

٢ـ تحسين الثّياب واستعمال الطيب .

٣ـ استحباب التّكبير، فعن النبي محمد-صلى الله عليه وآله- أنَّه قال: «زيّنوا أعيادكم بالتّكبير» وكان يخرج في العيدين رافعاً صوته بالتّهليل والتّكبير يجوب شوارع المدينة والناس يكبّرون معه.

٤ـ أداء صلاة العيد: وأمّا صلاة العيدين فاحضر في قلبك أنّها في يوم قسمة الجوائز وتفرقة الرّحمة وإفاضة المواهب على من قبل صومه وقربانه، وقام بوظائفهما فأكثر من الخشوع في صلاتك، والابتهال إلى الله تعالى فيها وقبلها وبعدها في قبول أعمالك والعفو عن تقصيرك، واستشعر الحياء والخجلة من حيرة الرّد وخذلان الطرد . فليس ذلك اليوم بعيد من لبس الجديد وإنَّما هو عيد من أمن الوعيد، وسلم من النقاش والتّهديد، واستحق بصالح أعماله المزيد، فاستقبله بما استقبلت به يوم الجمعة من الوظائف»[2].

٥ـ قراءة الأدعية والسّور القرآنية المستحب قراءتها في هذا اليوم العظيم ويراجع بهذا الشّأن كُتب الأدعية والزّيارات كمفاتيح الجنان وضياء الصّالحين وغيرها .

٦ـ المصافحة ومبادلة التّهاني مع المؤمنين ويستحب أن تذهب الى مكان إقامة الصّلاة عن طريق وتعود الى بيتك من طريق آخر ليكون لك أن تلتقي بأكبر عدد ممكن من الناس في السلام ومبادلتهم التّهاني، وأيضاً يستحب تبادل الهدايا التي تزيل تعكّر العلاقات وتجتذب المحبة، وقد تكون هدية بسيطة تفتح قلوباً وعقولاً وأرواحاً كانت مغلقة .

---

(١) القصص والمواعظ، ٧٩ـ٨٩.

(٢) المحاسن ، ٦٤٢ .

ويروى أنَّ الإمام زين العابدين-عليه السلام- كان يشتري العبيد ويربيهم ويهذبهم وهم في بيته يتزودون من أخلاقه رفعةً فإذا كانت ليلة العيد جمع عبيده وَعَظهم وذكَّرهم بالله (تبارك وتعالى) ثم يطلق حرّيتهم بعد أن يمنحهم من المال ما يبدؤون به مرحلة جديدة من حياتهم متزوّدين بالعلم والورع وأخلاق أهل البيت-عليهم السلام-.

أمور مهمة يجب الاهتمام بها:

١ـ العودة إلى المجتمع: فمن التّقاليد والعادات المعروفة في هذا اليوم التزاور وتبادل التبريكات وإهداء الهدايا، وهذه الأعمال بحدِّ ذاتها تورث الخير للفرد والمجتمع فكيف إذا اقترنت بيوم عظيم كيوم العيد ثم إنّ هذه العودة تؤدّي الى توثيق العلاقات في المجتمع وبناء العلاقات المنهارة وتقوية العلاقات الضّعيفة فلذلك ينبغي لنا أن نحاول إعادة العلاقات السابقة وبالخصوص ذوي الرّحم.

٢ـ هنالك فئات في المجتمع ليس لها عيد بسبب ما يعانونه من الفقر والحرمان والضَّعف كالفقراء واليتامى والأرامل ونزلاء المستشفيات والمهجّرين. فينبغي أن نضع برنامجاً لزيارة أولئك وتقديم المساعدة لهم من خلال تحسين أوضاعهم الاقتصادية والدّعاء لهم، وهنيئاً لمن يهتم بهؤلاء ويقدم لهم يد المساعدة.

٣ـ علينا أن نفكّر في برنامج تربوي وظيفته الحفاظ على المكاسب والكمالات التي حصلنا عليها في شهر رمضان فتربية النّفس وتثقيفها له الدّور الأكبر في تغيير الحياة نحو الأفضل .

٤ـ أن يكثر الإنسان الدّعاء للمؤمنين والمؤمنات ولوالديه وخصوصاً الدّعاء لصاحب العصر والزّمان الإمام المهدي -صلوات الله وسلامه عليه-.

٥ـ التّفكير والعمل على إزالة كلّ المشاكل التي تخل بوحدة وتلاحم المؤمنين فيوم العيد يوم مبارك يبارك الله -عز وجل- فيه كل عمل من شأنه إصلاح الفرد والمجتمع.

هذه هي بعض مفاهيم العيد وسننه وآدابه التي ندب الإسلام لها ووضع لنا الآداب والسّنن لنكون ممن يحظى برضا الباري -عز وجل- .

إنَّ يوم عيد الفطر - كما يقول العلماء- هو يوم توزيع الجوائز، كما لو أنّ العامل الذي يعمل من الصّباح حتى المساء، ثم يذهب الى النّوم في وقت إعطائه أجره! إذن؛ في هذا اليوم ينبغي الانتباه واليقظة، لذا فإنَّ ليلة

العيد ويومها مهمّة جدّاً، واذا تلاحظون فإنَّ صلاة العيد، هي في الواقع صلاة السّؤال من الله تعالى، بمعنى أنَّك قدمت على الله سبحانه وتعالى تمدّ يديك تطلب من الله تعالى: (اللهم أهل الكبرياء والعظمة وأهل الجود والجبروت وأهل العفو والرحمة وأهل التقوى والمغفرة أسألك...) ففي البداية تذكر مقدّمة تمجّد الله فيها وتعظّمه، ثم السّؤال (أسألك بحقّ هذا اليوم الذي جعلته للمسلمين عيداً ولمحمد صلى الله عليه وآله ذخراً وشرفاً ومزيدا...) - إذا تلاحظون - لصلاة العيد تسعة قنوتات، في الركعة الأولى خمسة قنوتات وفي الركعة الثانية أربعة قنوتات، والقنوت يعني: مظهراً من مظاهر التّضرع إلى الله سبحانه وتعالى، كالفقير أحياناً عندما يأتي إليكم يمد يده ويتضرّع، لكن إذا جاء ومدّ كلتا يديه إليكم فهذه تكون درجة كبيرة من التّضرّع، وهذا هو مصداق (صلاة السّؤال) من الله سبحانه وتعالى.

في صلاة الآيات عشر ركعات، وصلاة الآيات تعني الخضوع، يعني؛ يا الله! إذا ابتعدنا عنك إذا أذنبنا إذا عصينا الآن نخضع ونركع لك، وثمّة فرق بين الصلاتين، فصلاة العيد، صلاة السّؤال من الله سبحانه وتعالى، لذا ينبغي للإنسان في ليلة العيد ويومه أن يطلب من الله سبحانه وتعالى ويسأله ويتضرّع إليه، وجاء في كلمات بعض العلماء: فإنَّ الخائب من غفل عن هذا اليوم، إنّه يوم السّؤال، ويوم توزيع الجوائز، وقبل الختام نذكر روايتين:

الرّواية الأولى: يقول الرّاوي دخلت على أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يوم أحد الأعياد، فإذا عنده فاثور يعني خوان عليه خبز السّمراء، يعني الحنطة وصفحة فيها خطيفة وملبنة، هذا طعام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في يوم العيد، أما نحن فنفكّر في المظاهر المادية للعيد، ولكن أمير المؤمنين يفكر في الأبعاد المعنوية، والخطيفة هي الدقيق- الطحين- ومعه لبن، والظاهر أنَّ اللبن بمعنى الحليب، أي الحليب مطبوخ مع الدّقيق وكان طعام الإمام مع الخبز في يوم عيد الفطر، فقلت: يا أمير المؤمنين يوم عيد وخطيفة، أهذا هو طعام يوم العيد؟! فقال الإمام: (إنَّما هذا عيد من غُفر له) [1] ، فالإنسان الذي غفر له الله سبحانه وتعالى، يكون له عيد، فالعيد لا يُقاس بالمظاهر المادّيّة وإنَّما يُقاس بغفران الله سبحانه وتعالى للذنوب.

---

(١) مستدرك الوسائل : الميرزا النوري : ج ٦١ ، ص ٩٩٢ .

الرّواية الثّانية: خطب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وقال: عباد الله – وهذه بشرى لنا جميعاً– إنَّ أدنى ما للصائمين والصّائمات أن يناديهم ملك في آخر يوم من شهر رمضان أبشروا عباد الله فقد غُفر لكم ما سلف من ذنوبكم، فانظروا كيف تكونون فيما تستأنفون [1] .

فالإنسان يبدأ ابتداءً من يوم العيد حياةً جديدة، لذا علينا أن نحاول الإبقاء على الرّوحانية والصّفاء الذي اكتسبناه إن شاء الله في الأيام الماضية وفي ليالي القدر وفي أيّام الصّيام وفي دعاء السّحر، لا أن ندعها تنتهي، أي إنّ الصلوات النّوافل في أسحار شهر رمضان لله سبحانه وتعالى، يجب ألّا تتوقّف وتنتهي بانتهاء شهر رمضان المبارك، فكل إنسان يستيقظ يوميّاً لصلاة الصّبح، لكن بإمكانه أن يسبق ذلك بأربع دقائق قبل أذان الفجر ينهض ليصلّي ركعتين لله تعالى، في هذا العمل لذّة لا تعادلها لذّة للذين يقومون به، حيث يشعر الإنسان بالنّور يدخل قلبه والرّوحانية تدخل في باطنه، فإذا وصل إلى حالة التّلذّذ بمناجاة الله سبحانه وتعالى، فإنّ جميع اللذات المادية ستكون حقيرة بالنسبة إليه، ويكون حاله مثل ذلك الرجل الذي كان يفكّر في الزّواج من الأميرة، لكن تلك الأميرة كانت عاقلة، فقالت: لا مانع عندي، ولكن بشرط أن يصلّي صلاة الليل أربعين ليلة بشرائطها بآدابها، فصلى صلاة الليل أربعين ليلة ولم يعد، فبعثت إليه وقالت له: لماذا لم تعد، قال في الأيام الماضية التي لم أكن قد عرفت الله سبحانه وتعالى، كنت أفكّر في هذه الأمور المادّيّة، لكن اليوم وعندما عرفت الله سبحانه وتعالى، لم أعد أفكّر في شيء آخر.

من يذق لذّة مناجاة الله سبحانه وتعالى وحلاوة الدّعاء والذّكر، تكون سائر اللذات المادّيّة أمامه حقيرة، لذا لن يعصي الله سبحانه وتعالى لأجل هذه الدّنيا الفانية الحقيرة، وإذن؛ علينا المحافظة على الرّوحانية التي اكتسبناها من هذا الشّهر وأن نبقيها بمشيئة الله تعالى.

---

(١) الأمالي : الشيخ الصدوق : ص ٠٦١ .

آية من سورة الجود

إلى أبي الفضل -عليه السلام- مع خالص الذل

القصيدة الفائزة بالمرتبة الأولى في مهرجان الجود العالمي السادس لسنة ١٤٣٦هـ.

للشاعر: إبراهيم محمد آلبو شفيع.
الميلاد: ١٩٧٩م.
العنوان: الأحساء - السعودية.
المستوى التعليمي: دبلوم عالي في الإدارة المكتبية.

هـذا المـدى عـطـرٌ وقـلـبـك آسُ ... وعـلى هـواك تـنـفس الإحـسـاسُ
مـن روضـةٍ بـالـعـرش جئتَ قرنفلاً ... إن فـاح أُسـكِـرَ مـن شـذاه الـنـاسُ
(عـبـاس) واسـمـك عـوذةٌ مـا قلتها ... إلا هـوى بـالـ(عـين) هـذا الـيـاسُ
اسـمٌ تـطـرزه المـلائـك حـليـةً ... يخـبـو أمـام بـريـقـهـا الألمـاسُ
مـن فيضك الأسـمى تسيلُ جـداولٌ ... ويـطـيـب بـاسـمـك في الجـنـان غـراسُ
كـفّـاك تمـتـدان.. يـولـدُ مسـجدٌ ... تـتـقـاطـعـان.. فـتـقـرع الأجـراسُ
كـفـان أينـعـتـا عـطـاءً أخـضراً ... يـمـتـدُّ إن غـطـى الـقـلـوب يـبـاسُ
كـفـان، فـاليـمـنى تـفـيـض مـواهـبـاً ... وشـمـالـك انـطـحـنـت بـهـا الأفـراسُ
يـا صـانـع الأطـهـار بـين حـروفـه ... وبـحـدّهـا تـتـنـاقـص الأرجـاسُ
(الجـود) رشْـحُ نـداك، بـعـضُكَ كـلُّهُ ... مـا زلـتَ معنىً ضـاق عنه (جِـنـاسُ)
وصُـهـرت من (ذهـبِ السـماء) فضائلاً ... فـالـنـاسُ دونـك فـضـة ونـحـاس
تـعـب الـكـلامُ أمـام بـابـك فانحنى ... مـسـتـغـفـراً، وتمـزّق الـكـرّاسُ
والـشـعـر جـاءك تستقيك بـحـوره ... وجـيـوبـه أودى بـهـا الإفـلاسُ
يـا (كِـلْـمـة) مخـنـوقـة في آيـةٍ ... أوِّلْ سـنـاك لـتُـكـسرَ الأقـواسُ
يـكـفـيـك أنـك مـن (عـلـيٍ) سـورةٌ ... (الحـمـدُ) مـن آيـاتـهـا و (الـنـاسُ)

مـــولاي جئتك نفثةً موجوعةً ... ضاقت بها الأضلاعُ والأنفاسُ

الخـــوفُ حـــاصرني بجيش ظلامه ... ذبلت عيونُ الحزنِ، شاب الراسُ

صبري (كُليبٌ)، و(البسوسُ) مواجعي ... واليأسُ -إذ يغتالني- (جسَّاسُ)

يا شبل حيدرة الوغى، لا تبقني ... وحدي يمزقني الأسى وأداسُ

أبـــدل مـآتـم غربتي بمسرَّةٍ ... تسعُ الفضاءَ فتُعقدَ الأعراسُ

طهّر بماء (الله) صدراً آثما ... يعثو به الوسواس والخنّاسُ

يا هادياً بالضوء كلَّ سُراتهِ ... بك يلهجُ السُمّارُ والجُلاّسُ

يا فاتحا بالجود بيت عطائه ... لا بابُ يحجبهُ ولا حرّاسُ

أنا من أنا حتى أمدّ رسائلي ... وعلى بريدك يخجل القرطاسُ؟!

أبواب هذا العمر يوصدها الأسى ... ما لم يكن مفتاحها (العباسُ)